القول الصحيح
في
قصة المسيح عليه السلام

تأليف

غانم غانم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** »(آل عمران : ١٠٢) .

وقال تعالى : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** »(النساء : ١)

وقال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** » (٧٠) **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** »(الأحزاب : ٧٠، ٧١)

إن أحسن الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة،

وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

إن من أركان ديننا العظيم أن نؤمن بالرسل جميعا صلوات ربي وسلامه عليهم، فلا يجوز التفرقة بينهم في الإيمان.

قال تعالى: «**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**» (البقرة: ٢٨٥).

وهذا أدب رباني رفيع، نتخلق به، أن نؤمن بجميع الرسل، لأنهم جاءوا بعقيدة واحدة، ودعوا إلى دين واحد، وإلى أخلاق واحدة.

وكلهم نفوا أن يكون لله تعالى ند، أو شريك، أو ولد، فهو الحي القيوم الذي لا يحتاج إلى أحد من خلقه.

فكيف يخلق الخلق وهو يحتاج إليهم؟

وكيف كان يدير الأمور قبل أن يخلق الخلق لو كان يحتاج إليهم؟

وعيسى عليه الصلاة والسلام وأمه الطاهرة البتول، واحد من هؤلاء الرسل الذين نؤمن بهم ونجلهم، ونصلي عليه كلما ذكر اسمه.

بل إن عيسى عندنا له مقام يفوق مقام الكثير من الأنبياء، لأنه من

أولي العزم من الرسل ، وقد جمعتهم آيتان في كتاب الله تعالى :

قوله تعالى : «**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**» (الأحزاب : ٧) .

وقوله تعالى : « **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**» (الشورى : ١٣) .

وليس بينه وبين نبينا صلى الله عليه وسلم رسول ، فهو آخر الرسل والأنبياء قبل بعثة رسولنا .

ولماذا الحديث عن عيسى دون غيره من الأنبياء؟

ولماذا هذا الاهتمام به أكثر من غيره؟

لأن قصة عيسى من ولادته إلى رفعه ، بل إلى ما بعد ذلك من نزوله ثم موته ، احتوت الكثير من غرائب الأمور ، وعجائب الأخبار ، الحق فيها واضح ، والباطل فيها كثير .

وقد ضل في شأنه أمم ودول وشعوب ، ونسبوه للباطل ، ورموه بكل قبيح ، وغالوا فيه كثيرا بما لا يقبله عيسى لنفسه عليه الصلاة والسلام أبدا ، ولو كان حيا والله ما وسعه إلا أن يتبع نبينا محمدا

صلى الله عليه وسلم .

فكم من إنسان في العالم مات وهو يقول عيسى ابن الله ، وكم من إنسان مات وهو يقول عيسى هو الله .

وأكثر هؤلاء عرفوا الحق وحادوا عنه ، وربما بعضهم مات ولم يسمع بالإسلام (الدين الحق) ، أو ربما سمع أن هذا الدين يعادي عيسى عليه الصلاة والسلام ، فلا بد من البعد عنه وعداوته، والدعوة إلى خلافه .

وهذا واجب عظيم قصر فيه الكثير من المسلمين ، وما قاموا بواجب الدعوة إلى الله ، وبيان العقيدة الصحيحة في عيسى عليه الصلاة والسلام ، إلا من رحم الله من العلماء والدعاة الذين نذروا حياتهم لله ، وأفنوا أوقاتهم في سبيل الله ، والدعوة إلى كتابه .

وهذا الكتاب يبين العقيدة الصحيحة في نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام ، وإن كان لا يوازي ما كتبه العلماء من قديم ومن حديث ، إلا أنه جهد بسيط من طويلب علم صغير ، يرجو رحمة ربه ، عسى الله أن ينفع به .

وقد خطر في بالي أن اكتب هذا الكتاب الصغير وأنا اكتب في كتاب : المتكلمون في المهد ، حيث أعجبتني قصة المسيح عليه الصلاة والسلام ، فرأيت أن أفرد لها كتابا خاصا .

وهذا الكتاب يأخذ قصة عيسى عليه الصلاة والسلام بما ورد في الأخبار الموثوقة ، في المصدرين الأساسين :

كتاب الله الذي : «**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**» (فصلت : ٤٢) .

وسنة رسولنا صلى الله عليه وسلم ، الذي لا ينطق عن الهوى : « **إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**» (النجم : ٤) .

لأن الاعتماد على غيرها في قصة مثل قصة عيسى يقود إلى الكفر والضلال .

ولا شك أن القرآن قد اعتنى بقصة عيسى عناية بالغة ، فسورة كاملة باسم أمه : مريم ، وذكره في سور كثيرة بشكل مطول كما هو الحال في آل عمران ، وأقل من ذلك كما هو الحال في المائدة والزخرف وغيرها من السور .

فلا بد من وقفة جادة من أهل الكتاب ، أن يكونوا منصفين ، وأن يتبعوا الحق قبل فوات الأوان ، كما دعاهم ربنا سبحانه : «**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**» (آل عمران : ٦٤) .

وقد ذكر الإنجيل الذي يؤمنون به صراحة في عدة مواقف أن

عيسى إنسان ، وأنه ابن إنسان .

فكيف يستقيم قولهم أن عيسى ابن الله ، وكيف يتناسب مع ما في الإنجيل الذي يؤمنون به ، وقد ورد فيه في مواضع كثيرة : أن عيسى إنسان ابن إنسان، وفي الكتاب مزيد إيضاح لهذه المسألة الهامة .

وقد استفدت من عدة مراجع ، ومواقع إسلامية تهتم بهذا الموضوع ، وقد ذكرت في هذا الكتاب عنوانا مستقلا يبين أهم الكتب التي تهتم بهذا الموضوع ، ولكن لا بد لي من القول : أني استفدت كثيرا من الكتب والمواقع الآتية :

كتاب القصص القرآني للخالدي .

وكتاب القيامة الصغرى للأشقر .

موقع الشبكة الإسلامية .

موقع الإسلام سؤال وجواب .

وقد قسمت الموضوع إلى مبحثين ، تحدثت في الأول عن قصة عيسى عليه الصلاة والسلام ، من الولادة إلى النبوة والرفع ، ثم النزول ، والموت .

وفي الثاني نبذة عن النصرانية ، وبعض الحقائق المهمة التي ينبغي معرفتها عنها ، وكيف ندعو النصارى للإسلام ، وكيف نرد على

من يقول : عيسى ابن الله .

ولا بد لي أن أشكر المربي الفاضل مصطفى حميدة «أبو طارق» ، الذي قام بمراجعة وتدقيق الكتاب ، فجزاه الله خيرا .

والله سبحانه أسأله الإخلاص في هذا الكتاب ، وأن ينفع به من يقرؤه ، وأن يكتب له القبول ، وأن يكون زادا للداعية في فهم هذا الموضوع .

غانم غانم

إمام مسجد ديرابزيع - رام الله

والمدرس في مدارس نور الهدى

٣/ محرم/ ١٤٣٤هـ- ١٧/ تشرين ثاني/ ٢٠١٢م

المبحث الأول:

عيسى عليه الصلاة والسلام

تمهيد:

كانت ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام، وكلامه في المهد من معجزات الله الباهرات، التي أيد الله بها هذا النبي منذ بداية حياته ونشأته.

وقد شملت حياته على العديد من الغرائب والعجائب، بداية من مفاجآت ولادته، واتهام أمه الطاهرة العفيفة، وانتهاء بكيد الكائدين له، ولدعوته، وغطرسة اليهود والتآمر لقتله.

وانتهاء بنجاته ورفعه، ومن ثم نزوله في آخر الزمان ليحق الحق، ويبطل الباطل، ويحكم في الأرض بشريعة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن يشاء الله سبحانه.

فلا بد من الوقوف على حياة هذا النبي كما جاءت في كتاب الله، وفي صحيح سنة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يمكن أن يعتمد في شيء من الأخبار على غير هذين المصدرين.

فالاعتماد على الكتب المحرفة: (التوراة والإنجيل) في معرفة قصته يقود إلى الكفر.

وقد ورد اسم عيسى عليه الصلاة والسلام في القرآن خمسا وعشرين مرة، وورد اسم أمه مريم رضي الله عنها: أربعا وثلاثين مرة، ثلاثا وعشرين مرة منها مقرونة باسم عيسى عليه الصلاة والسلام بصيغة: عيسى ابن مريم، وإحدى عشرة مرة مجردة عن عيسى.

وقد اهتم القرآن بشأن هذه القصة التي ضل فيها مئات الملايين من البشر، وكفر بها مئات أخرى، اهتماما بالغا، ووضح جوانبها بما لا يدع مجالا للشك في أمور اختل فيها ميزان الأحبار والرهبان، ورفضوا الحق فضلوا وأضلوا:

كيفية ولادة المسيح - عيسى عليه الصلاة والسلام عبد الله ورسوله - عيسى عليه الصلاة والسلام بشر- ليس إلها ولا ابن إله - عيسى لم يقتل ولم يصلب -عيسى سينزل في آخر الزمان.

وقد رأيت أنه ينبغي أن نقف على قصته كاملة، ولكن بشيء من الاختصار(١).

مريم ابنة عمران من عائلة تقية نقية

ليس لعيسى عليه الصلاة والسلام أب، ووالدته الطاهرة مريم رضي الله عنها.

ولدت ونشأت في عائلة تقية نقية، فهي مريم ابنة عمران بنص القرآن، قال سبحانه: » **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا** « (التحريم: ١٢)، وهي من سلالة داود عليه السلام.

قال ابن كثير رحمه الله: « ولا خلاف أنها من سلالة داود عليه السلام، وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه» **انتهى**. البداية والنهاية: ٢/ ٦٧.

وقد أثنى الله سبحانه على عمران في كتابه، فقد جاءت سورة كاملة في القرآن تحمل هذا الاسم احتراما لهذا الرجل وهذه العائلة الكريمة: سورة آل عمران.

وقد اصطفى الله من هذه العائلة الكريمة أن جعل فيها مريم، والتي أنجبت عيسى عليه الصلاة والسلام، وأختها زوجة نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام، والتي أنجبت نبيا آخر هو: يحيى عليه الصلاة والسلام، ولا ينسى الشقيق التقي للأختين: هارون الذي ورد ذكره في القرآن بالمدح والثناء أيضا.

وقد بين الحق سبحانه في كتابه أن هذه العائلة مصطفاة من عند الله سبحانه: « **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** »(آل عمران: ٣٣).

ولادة مريم رضي الله عنها وكفالتها

فقد ذكر الحق سبحانه أن امرأة عمران نذرت ما في بطنها لله تعالى محررا من أية عبودية لغير الله، فلا يخضع لطاغوت بشر، ولا لقانون أرضي، إنما لله وحده: « **إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** »(آل عمران: ٣٥).

ولعل امرأة عمران كانت تأمل أن يكون ما في بطنها ذكرا ليقوم على خدمة دينه على أكمل وجه، وأن يحقق العبادة لربه ويدعو إليه، وإلى ذلك أشارت الآيات القرآنية: « **فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** »(آل عمران: ٣٦).

فليس الذكر كالأنثى: في القيام بأعباء الدعوة وتحمل المسؤولية، وإلا فلا فرق بين الذكر والأنثى من ناحية التفضيل إلا بالتقوى، كما بين الحق سبحانه: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (الحجرات: ١٣).

واختارت أمها لها اسم مريم: « **وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ** »(آل عمران: ٣٦)،

وطلبت من الله سبحانه أن يعيذها ويحميها وذريتها من الشيطان الرجيم: «**وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»(آل عمران: ٣٦).

وقد أكرم الله سبحانه مريم بأن لم يذكر في القرآن اسم أنثى إلا اسمها، ومن ذكرت في القرآن من النساء ذكرت بلقبها، أو كنيتها: «أم موسى»، «امرأة فرعون»، «امرأة نوح».

لقد استجاب الله دعاء أمها لها فحماها وذريتها من الشيطان الرجيم، فكل مولود يبكي حين ولادته إلا عيسى ابن مريم.

والناس يظنون أن بكاء الصبي لدى الولادة ناتج عن ألمه من أوجاع الولادة، والحقيقة غيبية غير هذا الذي نظنه، فقد وضح النبي صلى الله عليه وسلم الأمر وجلاه كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا.

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». رواه البخاري: ٣١٧٧.

وفي رواية مسلم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ». رواه مسلم: ٤٣٦٣.

فالشيطان يحاول أن يطعن في المولود لدى ولادته، إعلانا منه أنه سوف يسيطر ويقوى عليه، ولكنه ما استطاع أن يطعن عيسى عليه الصلاة والسلام.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ**». رواه البخاري: ٣٠٤٤.

وبعد ولادة مريم رضي الله عنها تنازع العابدون في شرف كفالتها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على السمعة الطيبة التي كانت تتمتع بها هذه الأسرة الكريمة: (آل عمران)، فصاروا يلقون سهامهم قرعة فيما بينهم أيهم يكفل مريم.

قال سبحانه: «**ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**»(آل عمران: ٤٤).

وبعد القرعة خرج سهم زكريا عليه السلام ليكون كفيلا لمريم: «**وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**»(آل عمران: ٣٧)، وهذا أمر سماوي اختاره الله لمريم.

فزكريا عليه السلام أحق بها لأنه زوج أختها الكبيرة، ومعلوم أن الأخت إذا كفلت أختها فإنها ترعاها رعاية تامة تشبه رعاية الأم.

كرامات مريم في بيت زكريا

عاشت مريم في بيت زكريا عليه الصلاة والسلام، وترعرعت في بيته، وقد أجرى الله عليها رزقا خاصا بها ليكون كرامة لها وتمهيدا لما هو أكبر من ذلك.

قال تعالى: «**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ**» (آل عمران: ٣٧).

فيدخل عليها زكريا ليجد عندها رزقا لم يقدمه لها، ولم يأتها من بيت جيرانها ولا أقاربها، فيتعجب ويسأل: « أَنَّى لَكِ هَذَا »؟

وتجيب بكل ثقة: هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ.

وكلمة: (كلما دخل)، تدل على الاستمرارية في جريان الرزق، فلم يدخل مرة واحدة، بل كثيرا.

كما في كلمة: (رزقا)، والتي جاءت نكرة تدل على أن الرزق كثير ومن كل ما تحتاجه، من أكل وشرب وغير ذلك.

ولما رأى زكريا عليه الصلاة والسلام تكريم الله لمريم، رغب أن يكون له كرامة من الله كما في قصته المشهورة: عندما دعا الله أن يجعل له ولدا.

فضل مريم على نساء العالمين

وتتوالى الكرامات تترى على مريم رضي الله عنها، فيرسل الله سبحانه لها الملائكة لتخبرها أن الله اصطفاها على نساء العالمين.

قال سبحانه: «**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ**» (آل عمران: ٤٢).

فكان الاصطفاء الأول لها عاما عندما اصطفى عائلتها الكريمة آل عمران، ثم جاء الاصطفاء مرتين في هذه الآية: «**اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ**» (آل عمران: ٤٢).

ويرجح العلماء أن الاصطفاء الأول يختلف عن الثاني في هذه الآية:

فالأول: أن الله سبحانه اجتباها لتكون محلا لتطبيق أمره العجيب(الحمل بعيسى عليه الصلاة والسلام)، فهذا وإن كان ابتلاء شاقا عليها، إلا أن فيه من الرفعة ما فيه لهذه المرأة الطاهرة.

الثاني: بمعنى التفضيل فالله فضل مريم على نساء العالمين، وهذا التفضيل ثمرة للأول، فهو تابع له.

وقد جاءت الأحاديث تباعا عن رسولنا صلى الله عليه وسلم في تفضيل مريم على نساء العالمين منها:

حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا بِالْكُوفَةِ يَقُولُ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» رواه البخاري: ٣٢٤٩، ومسلم: ٦٤٢٤.

والمعنى: خير نساء أهل زمانها كما قال الحافظ ابن حجر. فتح الباري: ٧/ ١٣٥.

وقد يكون المقصود والله أعلم: أن مريم خير النساء في الأمم السابقة قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وخديجة خير نساء هذه الأمة.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاس قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ قَالَ:

تَدْرُونَ مَا هَذَا؟

فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّة: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ».

رواه أحمد: ٢٥٣٦، ورواه الحاكم في المستدرك: ٤٧٥٤ وقال: صحيح الإسناد، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة: ١٥٠٨.

وقد بلغت مريم رضي الله عنها مرتبة الكمال الإيماني، كأعلى

ما يصل إليه البشر في إيمانهم بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم :

فعَنْ أَبِى مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ : مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» . رواه البخاري: ٣٢٣٠، ومسلم: ٦٤٢٥ .

فبمجموع هذه الأحاديث يتبين أن مريم رضي الله عنها من خيرة نساء الدنيا .

بل شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم أنها خير نساء أهل الجنة :

فعن أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ» .

رواه أحمد: ١١٣٣٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٥٤٩٢ .

وهذا من اصطفاء الله لها على نساء العالمين «**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**» (آل عمران: ٤٢) .

ولم تنل مريم هذه المنزلة الرفيعة إلا لأنها كانت قانتة زاهدة عابدة لربها ، ممتثلة لأمره سبحانه وتعالى : « **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**» (آل عمران: ٤٣) .

وقد كان إخبار الله لمريم بالاصطفاء ، والزيارات المتكررة من الملائكة تمهيدا لها بسماع البشارة العظيمة التي تحمل في ثناياها واحدة من أعظم الابتلاءات التي مرت بها الإنسانية ، وفتنت بها البشرية ، وضل بها الضالون .

جبريل يبشر مريم بعيسى ويعطيها أوصافه.

لقد اعتزلت مريم الطاهرة قومها ، ولكن لماذا؟

لم يبين القرآن ذلك .

واتجهت إلى المكان الشرقي ، ولا يعرف شرقي ماذا ، وإن كان أكثر المفسرين يقولون : بأنه شرقي بيت المقدس إلا أنه لا دليل على ما قالوا .

وفي هذا المكان الذي اعتزلت فيه مريم رضي الله عنها ، جاءتها الملائكة بالبشارة من عند الله لها بعيسى عليه الصلاة والسلام .

وقد بينت آيات سورة مريم أن المقصود بالملائكة هو جبريل وحده عليه الصلاة والسلام :

« **فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**» . (آل عمران : ١٧) .

والروح : هو جبريل عليه الصلاة والسلام كما أشارت إلى ذلك عدة آيات من كتاب الله تعالى ، كقوله سبحانه : « **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ**

الْعَالَمِينَ (١٩٢) **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ**» (الشعراء: ١٩٣، ١٩٢).

وقوله سبحانه: « **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا**» (النبأ: ٣٨).

وسمي جبريل روحا: لأنه يأتي بما فيه حياة القلوب، فكما أن الروح تحمل حياة الأبدان، فالوحي فيه حياة القلوب التي فيها سعادة البشرية.

جاءها الروح جبريل عليه الصلاة والسلام « **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**». (مريم: ١٧)، فخافت منه وأعربت له عن دهشتها منه، لأنها الطاهرة العفيفة التي لا تعرف الرجال ولا تخالطهم، وأخذت تستجيش فيه تقواه بالله أن يبتعد عنها: « **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا**» (مريم: ١٨).

فأخبرها أنه رسول الله إليها: « **قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ**»(مريم: ١٩).

فماذا يريد الرسول؟ وماذا يحمل معه؟

«..... **لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا**» (مريم: ١٩).

إنها البشرى بكل وضوح: « **إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**» (آل عمران: ٤٥).

وقد وضح جبريل عليه السلام الأمر وجلاه حتى لا يلتبس الأمر

على مريم رضي الله عنها في مسألة خلق عيسى عليه السلام، فمن بداية البشارة نسبه إليها للإشارة أنه يولد دون أب.

والأمر ليس غريبا ولا عجيبا لأنه: كلمة من الله تعالى: « ......**يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** ....» (آل عمران: ٤٥).

فعيسى كلمة من الله: وهي الكلمة الإلهية: (كن) التي يخلق الله بها الخلق.

وقد أزال القرآن استغراب البشر في خلق عيسى، فقال لهم: «**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**» (آل عمران: ٥٩).

فآدم خلق من تراب من غير أب أو أم، ثم قال الله له: كن فيكون.

وقد بين جبريل عليه السلام لمريم رضي الله عنها أن عيسى بشر مميز على غيره من البشر بالنبوة والمعجزات، والخصال الحميدة التي لا يصل إليها اتقى الناس من غير الأنبياء والمرسلين، فعلمت مريم صفاته وشيئا من معجزاته قبل خلقه.

قال سبحانه: « **إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**

(٤٥) **وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ**» (آل عمران: ٤٥، ٤٦).

فهو أولا الملقب بالمسيح، ولماذا أطلق عليه لقب المسيح؟

لأن الله أجرى على يديه خوارق العادات وسائر المعجزات، ومن بينها أنه كان يمسح على الأعمى والأبرص فيشفى بإذن الله تعالى، وهذا ما أشارت إليه آيات عدة من القرآن، في آل عمران: « **وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى**» (آل عمران: ٤٩).

والمائدة: « **وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي**» (المائدة: ١١٠).

بينما أطلق على الدجال المسيح لأنه ممسوح العين.

ومن صفاته الأخرى:

وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: فهو ذو وجه ومكانة رفيعة في الدنيا. وفي الآخرة في أعلى منازل الجنة مع النبيين والمرسلين.

وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ: الذين قربهم الله منه، وأعلى منازلهم عنده، وهم أرفع من أصحاب اليمين كما وضحت ذلك سورة الواقعة: « (٨٧) **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ**»

(الواقعة: ٨٧، ٩١).

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً: وهذا أول معجزاته أنه يكلم الناس فور ولادته، وذلك عندما يفاجأون بحمل مريم رضي الله

عنها .

وسيكلم الناس وهو كهل(شيخ كبير): وهو إشارة إلى نزوله عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان .

وَمِنَ الصَّالِحِينَ: وسيكون معروفا بصلاحه وتقواه .

ولقد عرف النجاشي عيسى عليه الصلاة والسلام من صفاته التي وصفها له الصحابة رضي الله عنهم في هجرتهم المشهورة إلى الحبشة كما روتها أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ :

لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ : النَّجَاشِيَّ ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا ، وَعَبَدْنَا اللَّهَ لَا نُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ .

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ .

فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا ، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً ، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ وَقَالُوا لَهُمَا : ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ .

قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ.

ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا، وَلَا يُكَلِّمَهُمْ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ.

فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ.

ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ.

فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ.

وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرِو

بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ.

فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ قَوْمُهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ.

قَالَ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَا اللَّهِ(ومعناها: لا والله) أَيْمُ اللَّهِ إِذَنْ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ؟

فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا.

ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟

قَالُوا نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمَنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ:

فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي، وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ.

قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ.

فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ.

وَنَهَانَا عَنْ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ.

قَالَ فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ فَصَدَّقْنَاهُ، وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا.

فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ

الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنْ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ.

فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ؟

فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كهيعص.

قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا وَلَا أُكَادُ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَأُنَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ.

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا.

قَالَ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ.

قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ.

فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ.

قَالَتْ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض:

مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟

قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟

فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِب: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.

قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ.

فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ، وَاللَّهِ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي (وَالسُّيُومُ الْآمِنُونَ)، مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ، (وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ).

رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ

فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ .

قَالَتْ : فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ قَالَتْ : فَوَاللَّهِ إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ .

قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنٍ حَزِنَّاهُ عِنْدَ ذَلِكَ تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ ، فَيَأْتِيَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ .

قَالَتْ : وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النِّيلِ ، قَالَتْ : فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقْعَةَ الْقَوْمِ ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ؟

قَالَتْ : فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ : أَنَا .

قَالَتْ : وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِ الْقَوْمِ سِنًّا .

قَالَتْ : فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النِّيلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ ، قَالَتْ : وَدَعَوْنَا اللَّهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ ، وَاسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِمَكَّةَ .

رواه الإمام أحمد: ١٧٤٠.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق وقد صرح بالسماع. مجمع الزوائد ٦/ ٢٤.

وقال صاحب كتاب العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم(٤/ ١٠٠):

رواه البيهقي في الدلائل: ٢/ ٢٩٩ - ٣٠٠، وقال: وهذا إسناد صحيح.

مريم تعبر عن دهشتها.

وهكذا أصبحت كل تفاصيل البشارة عند مريم واضحة المعالم، إلا أن هذا لم يمنع مريم رضي الله عنها من الدهشة والاستغراب أن تلد بدون رجل.

فمريم شابة تعرف أن المرأة التي تلد لا بد لها وأن تعاشر رجلا، سواء أكان بالحرام أم بالحلال، ولم يكن منها أن تزوجت، وحاشاها أن ترتكب الفاحشة: « قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا» (مريم: ٢٠).

وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ: والمراد هنا بالمعاشرة الزوجية الحلال.

وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا: لم أكن زانية، وقد شهد لها الحق بطهارة فرجها، فهي المحصنة الطاهرة، بل هي أطهر نساء العالمين.

قال سبحانه: « وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ» (الأنبياء: ٩١).

وقال أيضا: « وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» (التحريم: ١٢).

أزال جبريل عليه الصلاة والسلام دهشتها، وأخبرها أن الأمر مفروغ منه غير خاضع للنقاش، لأن هذا الولد سيكون آية من الله لعباده.

قال سبحانه على لسان جبريل عليه السلام: « قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا» (مريم: ٢١).

فالأمر على الله سهل ميسور لأن أمره بين الكاف والنون، والغرض من خلقه: آية للناس.

وأمره مقضي: مفروغ منه.

حمل مريم ووضعها

نفخ الملك الموكل جبريل عليه الصلاة والسلام في مريم فحملت، وهذا ما عبرت عنه الآية في سورة الأنبياء(٩١): «فَنَفَخْنَا فِيهَا».

والظاهر أن محل النفخة كان فرجها الطاهر، فالملك نظيف من كل سوء، لا يعصي الله ولا ينظر إلى النساء كما ينظر البشر، لأنه

ليس له شهوة، وهذا ما عبرت عنه آية التحريم(١٢): «فَنَفَخْنَا فِيهِ».

«فَنَفَخْنَا فِيهَا» أي في مريم، ومحل النفخ الفرج: «فَنَفَخْنَا فِيهِ».

وأمر هذه النفخة من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه، كيف وصلت إلى الفرج، وصارت جنينا؟

إن الله على كل شيء قدير.

وأما الفرق بين النفخ في عيسى وآدم عليهما الصلاة والسلام فهو كالآتي:

النفخ في عيسى كان في فرج أمه، وأما آدم فكان في الجسد المجسد.

النفخ في عيسى كان بواسطة جبريل، وأما في آدم فكان من الله مباشرة: «ونفخت فيه من روحي»(ص: ٧٢).

عبر عن النفخ في عيسى بضمير الجمع: «فنفخنا فيها»، لاجتماع المسبب وهو الآمر بالنفخ هو الله، والسبب الذي قام بالعملية: جبريل عليه السلام.

وأما آدم فالذي تولى العملية بشكل مباشر هو الله: «ونفخت فيه».

وأما إضافة الروح إلى الله فهو من باب التشريف، وإلا فمحال

أن تكون روح الله في آدم وعيسى سيما وأنهما سيموتان ومحال لروح الله أن تموت.

وقد ناظر بعض النصارى علي بن الحسين بن واقد المروزي، فقالوا له: بأن ما في القرآن يشهد أن عيسى جزء من الله تعالى وذكروا الآية: «من روحنا».

فعارضه ابن واقد وقال له: هذا يستلزم أن السموات والأرض بكل ما فيها جزء من الله تعالى، وتلا قوله تعالى: «وسخر لكم ما في السموات والأرض جميعا منه»، فسكت النصراني ثم أسلم.

لفتة طيبة:

يذكر بعض العلماء أن من حكمة خلق الله لعيسى بهذه الكيفية: أن البشرية لم تشهد خلقها، وخلق أبيها الأول، فأراد الله سبحانه أن يريهم شيئا من عجائب قدرته التي تدل على كمال قوته وعظمته، ولكن للأسف قست قلوبهم من بعد ذلك، فكفر الكثير وضل الكثير.

ولو نظر هؤلاء إلى عظيم قدرة الله في خلق الإنسان على الطريقة الطبيعية التي يعرفونها لتجلت أمامهم قدرة الله ولعرفوا عظمته، فالرجل ليس له إلا أن يستمتع بملاقاة المرأة، فلا دخل له في ملاقاة البويضة بالمني، ولا في تكوين المولود، ولا نفخ الروح فيه.

وكم من مستمتع بزوجته ولم ينجب أولادا، فهل من معتبر؟

قال سبحانه: «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ» (الشورى: ٤٩، ٥٠).

وبعد حمل مريم رضي الله عنها بعيسى عليه الصلاة والسلام ابتعدت مرة أخرى عن أهلها وعن أعين الناس، فغادرت المكان الشرقي إلى مكان أبعد منه، وهذا الانتباذ غير الانتباذ الأول:

« وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا» (مريم: ١٦)، هذا الأول.

وأما الثاني: «فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا» (مريم: ٢٢).

وقد اختلف العلماء في مدة حمل عيسى عليه الصلاة والسلام، هل كان حملا طبيعيا تسعة أشهر، أم أنه كان ساعات؟

جمهور العلماء على أن الحمل كان طبيعيا إذا ليس هناك ما يدل على غير ذلك.

وذهب بعض العلماء ومنهم ابن عباس إلى أن الحمل كان في ساعات، بدليل الفاء التي تدل على التعقيب الفوري: فحملته، فانتبذت، فأجاءها، كلها متعاقبة.

ومن جملة ما استدل به الفريق الثاني: قراءة غير متواترة ،

حيث قرأ البعض كلمة (فأجاءها): فاجأها، بمعنى: الولادة في غير موضعها وفي غير وقتها، وإنما جاءت مفاجأة.

ولا يؤثر الخلاف في مثل هذه المسائل، والذي أميل إليه: أنه كان حملا طبيعيا لأنه لا يوجد دليل صحيح صريح يدل على غير هذا.

ولما جاء المخاض مريم اضطرها إلى القدوم إلى جذع النخلة، وأكرهها على ذلك، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: « فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ» (مريم: ٢٣).

ولا شك أن هذا الجذع لنخلة حية لها ظل يؤوي مريم رضي الله عنها، لأنها أكلت من ثمارها.

وفي هذه اللحظات الحرجة تتمنى مريم الموت لعظم البلاء، وشدة الفتنة التي ستقاسيها بعد هذه الولادة.

فالألم الجسدي رغم قساوته (لأن العذراء تكون خائفة في أول مخاض)، يزول بالولادة، وتبقى الآلام النفسية القاسية حين تواجه المجتمع.

قال سبحانه على لسانها: «قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا» (مريم: ٢٣).

ومعنى نسيا منسيا: لم أخلق.

وتلد مريم رضي الله عنها في بيت لحم دون تحديد المكان

بالضبط، لا كما يزعم النصارى في كنيسة المهد.

والدليل على أن الولادة كانت في بيت لحم:

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل، خطوها عند منتهى طرفها، فركبت ومعي جبريل عليه السلام، فسرت فقال: انزل فصل ففعلت.

فقال: أتدري أين صليت؟

صليت بطيبة وإليها المهاجر.

ثم قال: انزل فصل فصليت.

فقال: أتدري أين صليت؟

صليت بطور سيناء حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام.

ثم قال: انزل فصل فنزلت فصليت؟

فقال: أتدري أين صليت؟

صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام،

ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل حتى أممتهم،

ثم صعد بي إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم عليه السلام،

ثم صعد بي إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام،

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام،

ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون عليه السلام،

ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس عليه السلام،

ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام،

ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام،

ثم صعد بي فوق سبع سموات فأتينا سدرة المنتهى، فغشيتني ضبابة فخررت ساجدا، فقيل لي:

إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك، وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك، فرجعت إلى إبراهيم، فلم يسألني عن شيء.

ثم أتيت على موسى، فقال: كم فرض الله عليك وعلى أمتك؟

قلت: خمسين صلاة.

قال: فإنك لا تستطيع أن تقوم بها أنت ولا أمتك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

فرجعت إلى ربي فخفف عني عشرا.

ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت، فخفف عني عشرا.

ثم رُدت إلى خمس صلوات.

قال: فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإنه فرض على بني إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما، فرجعت إلى ربي عز وجل فسألته التخفيف، فقال: إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك، وعلى أمتك خمسين صلاة، فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك.

فعرفت أنها من الله تبارك وتعالى صرِّى(أي: حتم لازم) فرجعت إلى موسى عليه السلام، فقال: ارجع فعرفت أنها من الله صرِّى(أي حتم) فلم أرجع.

رواه النسائي: ٤٥٠، واختلف العلماء في إسناده.

فقال الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي٢/ ٩٤: منكر، وصححه البيهقي في دلائل النبوة: ٢/ ٢٤١.

كرامات الله لمريم في الولادة

قال تعالى: « فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي »(مريم: ٢٤).

وفي أثناء ألم الولادة، والمعاناة النفسية، تحدث المعجزة الإلهية لعيسى عليه الصلاة والسلام، وتجري الكرامة الربانية لمريم رضي الله عنها، فينادي الولد على أمه من تحتها، ويبدو أن المناداة كانت

في أثناء الولادة، لأن هذا يناسب القول: من تحتها.

ويناسب الوعد الإلهي بأن الولد سيكلم الناس في المهد، فيكون هذا تمهيدا لما سيحصل، وتخفيفا على مريم أن الولد سيدافع عنها: فلا تحزني.

هذه أول العبارات التي نطق بها عيسى عليه الصلاة والسلام، وكم كانت المفاجأة لأم حزينة وهي تسمع كلام ابنها في المهد.

وقد ذكر بعض العلماء أن الذي كلمها هو جبريل عليه الصلاة والسلام، ولكن:

الراجح أن الذي نادى هو عيسى عليه الصلاة والسلام، ومما يرجح ذلك: أن الكلام السابق كان عن عيسى عليه الصلاة والسلام: فحملته، فانتبذت به.

«قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» (مريم: ٢٤).

وقد أجرى الله تحتها نبعة ماء، لتشرب وهي في مكانها.

«وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا» (مريم: ٢٥).

أمرها الله سبحانه أن تهز جذع النخلة، مع أنها تعاني ألم الولادة: حتى يعلم الأمة أن تأخذ بالأسباب، وهذا درس إيماني عظيم أن يربط الإنسان بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب، فالأخذ بها جزء من التوكل، وبعد الأخذ يفوض الإنسان أمره

إلى الله تعالى .

ولا شك أن مريم امتثلت أمر ربها لها الذي جاء على لسان عيسى لها ، فسقطت عليها الرطب الجني الناضج الطري : وهو الذي يصلح للاجتناء : القطف .

والرطب هو ثالث المراحل التي يمر بها التمر :

البلح : ثمر النخل إذا اخضر .

البسر : عند بداية نضجه .

الرطب : بعد تمام النضج .

التمر : عندما يبالغ في نضجه ، ويصبح فيه يبوسة .

العجوة : عند آخر نضجه يركم بعضه بعضا .

فلا تحزني فعندك كل ما تحتاجين إليه ، الماء والشراب والرطب : «فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا» (مريم : ٢٦) .

وقرور العين لا يكون إلا في مكان الراحة والسرور فلا تتحول العين إلى غيرها .

وإذا كنت تخافين من مواجهة المجتمع فما هو الحل؟

«فَإِمَّا تَرَيِنَّ (من الرؤية) مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا» (مريم : ٢٦) .

فنذرت مريم أن تصوم ثلاثة أيام طوعا باختيارها ، بينما كان

صمت زكريا إجباريا لا إراديا كلما أراد أن يتكلم فلسانه لا يطاوعه.

ولاحظ الفرق في التعبير القرآني بين صوم مريم: «فقولي إني نذرت للرحمن صوما».

وبين صمت زكريا: « قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا» (آل عمران: ٤١).

وصوم مريم كان بأمر من الله تعالى، فلا يكون الصمت قربة يتقرب بها العبد إلى الله تعالى.

وقد روي: «أن رجلين دخلا على ابن مسعود فرد أحدهما السلام ولم يرد الآخر، فقال ما شأنه؟ قال: نذر أن لا يكلم الناس.

فقال له ابن مسعود: كلم الناس، وسلم عليهم، فإن تلك المرأة علمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج.

عيسى عليه السلام يكلم الناس في المهد

وفي أعظم اللحظات حرجا على مريم رضي الله عنها تلك التي واجهت قومها: «فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ»(مريم: ٢٧).

وقبل أن يستفصلوا عن حالها وحال الطفل، ولم يسألوا: لربما تحمل طفلا لأحد الناس من أقاربها، إلا أن التهمة جاءت مباشرة

وبدون أدنى ورع ولا تقوى: « قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا» (مريم: ٢٧). والشيء الفري: الأمر العظيم.

أنت أخت الرجل الصالح هارون، وأبوك التقي وأمك الطاهرة.

«يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا»

(مريم: ٢٨).

وبعض العلماء رجح أنه أخو موسى عليه السلام حيث كانوا يتشبهون بالصالحين، ولكن الراجح رأي الجمهور أنه أخ حقيقي لمريم وقد ورد في ذلك حديث صحيح:

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: «لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِى، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ: يَا أُخْتَ هَارُونَ وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا.

فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ.

فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ».

رواه مسلم: ٥٧٢١.

وأمام هذا الاتهام فإن مريم تشير إلى الطفل إشارة الواثق من وعد ربها، ولأنه تكلم معها من قبل.

« فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ.

قَالُوا: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا؟ (مريم: ٢٩).

وهنا تظهر المعجزة الإلهية لعيسى عليه الصلاة والسلام، ويفتح القوم عيونهم مبهورين مما يشاهدونه، وسيطرت المفاجأة على كيانهم، لأن الأمر حقيقة لا خيال، لا مجال للتكذيب، فالأمر أمامهم.

الكلمات التي نطق بها عيسى في المهد

قلنا أنه تكلم من قبل مع أمه لدى الولادة أن لا تحزن وأن تهز جذع النخلة وتأكل وتشرب وتستقر، ولم يكن الأمر أمام الناس لذا كانت المفاجأة لمريم وحدها، وأما الآن فهي للجميع، وقد قال لهم، وحدثهم عن شخصه، وأنه ينبغي عليهم أن يقتدوا به ويتأسوا بحياته، فهو القدوة والأسوة، فماذا قال لهم؟

١- قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ: فلست إلها ولا ابن إله، بل بشر وعبد لله كغيري، فهو تكذيب مبكر للنصارى.

٢- آتَانِيَ الْكِتَابَ: بمعنى ما سيكون في المستقبل سيؤتيني الإنجيل.

٣- وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (مريم: ٣٠): كسابقتها بما سيكون في المستقبل.

٤- وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ: معلما للخير،

وبعضهم خصه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر واسع فالبركة ثبتت لعيسى من وجوه كثيرة.

٥- وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ: هذا على تقدير ما سيكون في المستقبل، سيأمرني بالصلاة، وكانت صلاتهم فيها ركوع وسجود، ولكن لا نعرف عن تفاصيل كيفيتها الأخرى: «يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين»(آل عمران: ٤٣).

٦- وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (مريم: ٣١): ما سيكون في المستقبل، ولا ندري كم كانت الزكاة ومقدارها في مالهم.

٧- وَبَرًّا بِوَالِدَتِي: فليس لي أب، وإلا لكنت أوصيتكم ببره أيضا كما أوصاني ربي ببر والدتي.

٨- وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا: مستكبرا على الله وعباده.

شَقِيًّا (مريم: ٣٢): وبما أن هذه صفاتي فلن أشقى في حياتي، لأن الذي يشقينا هو الذنوب:

قال سبحانه : « فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى» (طه : ١٢٣- ١٢٦) .

وقد أنهى كلامه بأن أخبرهم بتمام بشريته لأن الله أضفى عليه السلام والأمان في المواضع الثلاثة الحرجة من حياته ، لأن ولادته اختلف فيها العباد ، وكذا موته ، وهل سينزل في آخر الزمان .

وبعثه حيا يوم القيامة : وهذا لا خلاف فيه حتى بين كل الديانات الباطلة فيما أعلم :

اللغة التي كان يتكلم بها عيسى

قال سبحانه : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (إبراهيم : ٤) .

ومعلوم أن عيسى عليه الصلاة والسلام أرسل إلى بني إسرائيل كما سيأتي ، وبنو إسرائيل كانوا يتكلمون العبرية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «لا ريب أن قوم موسى عليه السلام هم بنو إسرائيل ، وبلسانهم نزلت التوراة ، وكذلك بنو إسرائيل هم قوم المسيح عليه السلام

، وبلسانهم كان المسيح يتكلم ، فلم يخاطب أحد من الرسولين أحدا إلا باللسان العبراني ، لم يتكلم أحد منهما لا برومية ولا سريانية ولا يونانية ولا قبطية » أ هـ.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ٢/ ٩٤ .

«وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ»

فلم ينل مني الشيطان كما ينال من الناس عند الولادة من الوخز والطعن كما سبق .

وقد اختلف نوع السلام الذي أضفاه الله على عيسى، عن السلام الذي أضفاه الله على يحيى عليهما الصلاة والسلام، فالسلام على عيسى : معرف، بينما سلام يحيى : نكرة .

فسلام عيسى قال عنه الله تعالى : «وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» (مريم: ٣٣) .

وسلام يحيى قال عنه سبحانه : «وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا» (مريم: ١٥) .

وفي هذا إشارة إلى أن سلام عيسى كان أخص من سلام يحيى ، لأن حياته وميلاده أكثر حرجا، وقد كان يعلم علام الغيوب أن الناس سيكيدون به، ويحاولون قتله ولكن الله نجاه من كيدهم .

وقد سكت القرآن عن الفترة بين ميلاده وبعثته، فهي من مبهمات

القصة التي لا يعلمها إلا الله، فلا ندري ماذا جرى لمريم؟ وكيف عاشت حياتها مع قومها وهي تربي في ذلك الطفل؟

وهل تكلم عيسى غير الكلمات التي ذكرها القرآن، أم أنه لم يتكلم؟

وهل تزوجت مريم أم لم تتزوج بعد ولادتها عيسى عليه السلام؟

جاء في فتاوى الشبكة الإسلامية:

فالذي يقرره العلماء أن مريم عليها السلام لم تتزوج قط، لا قبل ميلاد عيسى عليه السلام ولا بعده.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والنصارى الجهال يزعمون أن مريم تزوجت بيوسف النجار، وأنها ولدت المسيح، فيكون في هذا حجة للفلاسفة واليهود على أنه ابن يوسف، سواء كان لِرشده أو لغيه، وهذا باطل، فإن مريم بتول لم تتزوج قط»

فأما عدم تزوجها قبل أن تحمل بعيسى عليه السلام فمقطوع به، وبه جاء القرآن، كما قال تعالى: « قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا» (مريم: ٢٠).

وأما بعد ميلاد عيسى عليه السلام فليس في نصوص الوحي ما يتعين المصير إليه، من أنها لم تتزوج بحيث يكون المكذب بهذا النص كافرا، والأحسن هو أن نقف حيث أوقفنا الله تعالى، وألا

نخوض فيما لا علم لنا به، وألا نثبت أو ننفي إلا ببرهان« . أ هـ

وهل تزوج عيسى أم لم يتزوج خصوصا وأنه بلغ سن الزواج؟، وهل أنجب أولادا أم لم ينجب؟

وقد ذكر الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة وحسنه(٢٥١٢)، من حديث أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك، على حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى: ثلاث وثلاثون سنة، وعلى لسان محمد، جرد مرد مكحلون».

وقال في الطيوريات(١٧/ ٣٠):

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٩٨-٣٩٩، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط، وقال: إسناده جيد.

المهم أن عيسى عليه الصلاة والسلام بعث نبيا كما بين سبحانه: « ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ » (مريم: ٢٧).

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤمن به، كما جاء في حديث عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ

أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ» . رواه البخاري: ٣٢٥٢، ومسلم: ١٤٩ .

وقد جعله الله سبحانه خاتم أنبياء بني إسرائيل لأنه ليس بينه وبين رسولنا (خاتم النبيين) عليه الصلاة والسلام رسول .

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى، الأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلاَّتٍ وَلَيْسَ بَيْنِى وَبَيْنَ عِيسَى نَبِىٌّ » . رواه البخاري: ٣٢٥٩، ومسلم: ٦٢٨٠ .

ومعنى أبناء علات: الأخوة لأب، أمهاتهم شتى وأباهم واحد، وكذا الأنبياء اجتمعوا على العقيدة رغم اختلاف أحكامهم وتشريعاتهم .

ولم يبعث إلا إلى بني إسرائيل، فلم يبعث أحد إلى الناس كافة إلا رسولنا عليه الصلاة والسلام:

قال سبحانه: « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» (فاطر: ٢٨) .

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ

النبيُ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» . رواه البخاري : ١١٩١، ومسلم : ٣٣٥.

وبلا شك أن النصرانية اليوم اخترقت من ملل شتى ، وشعوب مختلفة مع أن عيسى لم يأت إلا إلى بني إسرائيل ، فقد جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة : « وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ» (المائدة : ٤٦) .

وقد ذكر سبحانه بعض صفات المؤمنين من أمة محمد في الإنجيل كما سجل ذلك القرآن : « مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ(النبات الصغير بجانب النبات الكبير) فَآزَرَهُ(قواه وساعده الكبير) فَاسْتَغْلَظَ (صار غليظا) فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ(نضج الزرع على السيقان التي تحمل السنابل) يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ (المزارعون) لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الفتح : ٢٩) .

معجزات عيسى عليه السلام

لقد أخبر القرآن الكريم عن العديد من المعجزات التي آتاها الله لعيسى عليه الصلاة والسلام، نعدد منها ما استطعنا :

١- حمل أمه بغير زوج .

٢- أجرى لها سري الماء .

٣- والرطب الذي تأكله .

٤- نزل عيسى من بطن أمه يتكلم .

٥- وأنطقه أمام الناس .

هذا قبل نبوته، وأما بعدها :

١- آتاه الإنجيل وفيه تشريع لبني إسرائيل : « وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُور» (المائدة : ٤٦) .

وهناك آية قد يرى البعض فيها إشكالا، ولا إشكال إن شاء الله، وهي قوله تعالى : « وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ» (آل عمران : ٤٨) .

وكذا قوله تعالى: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ»(المائدة: ١١٠).

وما دامت الآيات ذكرت الإنجيل، فما هو المقصود ب : الكتاب؟

الكتاب هنا: بمعنى الكتابة.

٢- أيده بجبريل يدافع عنه: « وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»(البقرة: ٨٧).

٣- كان يصنع من الطين تمثالا على شكل طائر، وبعدما يجف التمثال وييبس، ينفخ فيصير طيرا بإذن الله، وهذا ما ورد في آيتين:

الأولى: « وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ(يعني: ورسولا قائلا إلى بني إسرائيل) أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ. . »(آل عمران: ٤٩).

الثانية: « وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي(هنا تشكيل

الصورة في التمثال) فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي» (المائدة: ١١٠).

وفي الآية الأولى: قال فأنفخ فيه: أي في التمثال، وفي الثانية: فأنفخ فيها: تمثالا على هيئة الطير فأنفخ في الهيئة المشكلة.

٤- وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ: الذي ولدته أمه أعمى، ولم يتوصل الطب القديم ولا الحديث لمثل هذا.

٥- وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي: الذي في جلده بياض.

٦- «وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ: وهذه من أعاجيب معجزاته أنه لم يكن يحيي الموتى فقط بل كان يخرجهم من قبورهم بإذن الله: «وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي».

ويبدو أن في الآيتين ترتيبا، فهو أولا يحيي الموتى وتدب فيهم الحياة وهم في القبور، لأنه معروف أن الإنسان إذا مات دفن، ثم يخرج من قبره حيا.

٧- يخبرهم بما غاب عنه من أصناف الطعام الذي يأكلونه في بيوتهم: » وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (آل عمران: ٤٩).

٨- نجاه الله من كيد بني إسرائيل عندما مكر به اليهود:
«وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ» (المائدة: ١١٠).

٩- رفعه الحق إلى السماء كما سيأتي.

عيسى والحواريون

لقد آمن بنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام في عصره مجموعة من قومه سماهم الله في القرآن: الحواريون، وذكرهم خمس مرات في كتابه كلها للدلالة عليهم.

وكلمة حواري تعني: النصير، وقيل: المطهر، والأول أقرب لدلالة الآيات على ذلك.

وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يأتني بخبر القوم (يوم الأحزاب)؟

قال الزبير: أنا.

ثم قال: من يأتيني بخبر القوم؟

قال الزبير: أنا.

فقال النبي صلى الله عليه و سلم: إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ». رواه البخاري: ٢٦٩١.

ولما رأى عيسى عليه الصلاة والسلام كفر معظم الذين حوله دعا الحواريين إلى نصرته، فاستجابوا لطلبه.

قال سبحانه: «فَلَمَّا أَحَسَّ (أدرك الكفر بحواسه) عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ» (آل عمران: ٥٣).

ونلاحظ أنهم لم يقولوا نحن أنصارك إلى الله، بل قالوا: نحن أنصار الله: وذلك للتشريف وللدلالة على شدة التزامهم بالمنهج السماوي.

وفي آية أخرى: « وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ: (ألهمتهم وألقيت في قلوبهم الإيمان) أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ» (المائدة: ١١١).

ونلاحظ أن إيمان الصحابة رضي الله عنهم لم يكن مثل إيمان الحواريين: بل كان أعظم، لأن الحواريين صاوروا بعد إيمانهم يطلبون المعجزات الباهرات، فطلبوا من عيسى عليه الصلاة والسلام أن ينزل عليهم مائدة من السماء، بينما الصحابة كان

تصديقهم أعظم فلم يطلبوا هذه المعجزات بعد إيمانهم .

قال سبحانه : « إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (المائدة : ١١٢) .

قالت عائشة رضي الله عنها : ما كان الحواريون يشكون في قدرة الله ، وإنما قالوا : يا عيسى هل تستطيع سؤال ربك .

التحرير والتنوير : ٥/ ٢٦٤ .

وقد كره عيسى عليه الصلاة والسلام سؤالهم ، فبينوا أن الهدف منها ليس تعجيزيا وإنما :

«قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا" : ويبدو أنهم كانوا جائعين ، فأرادوا كرامة من الله بإطعامهم .

«وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا" : بأن الله معنا ويؤيدنا ، وهذا يذكرنا بما قاله إبراهيم لربه : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» (البقرة : ٢٦٠) .

«وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا» : في نبوتك ومعجزاتك ، فنحن لم نطلب منك ولا معجزة وإنما طلبها الآخرون .

«وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ» (المائدة : ١١٣) : نشهد على إنزالها ، ونقدم شهادة بأن الله أيدك بهذه الآية .

وقد طلب عيسى من الله هذه المائدة: « قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً(يعني يوم نزولها) لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» (المائدة: ١١٤).

وقد وعدهم الله بإنزالها وقد أنزلها فعلا، وهذا رأي الجمهور من العلماء لدلالة الآيات على ذلك، قال سبحانه: «قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ» (المائدة: ١١٥).

ولم تذكر المائدة إلا في سورة المائدة، ولم يرد عنها إلا ما ذكره الله إجمالا في كتابه، فماذا كان عليها من صنوف الطعام؟ وكم أكل منها القوم، مرة أم مرات؟

كل ذلك مما لا ينفع به علم ولا يضر به جهل.

عيسى يبشر قومه برسول الله

لقد بشر الأنبياء جميعا ببعثة رسولنا خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، جاء ذلك في كتاب الله تعالى: » وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ»(آل عمران: ٨١).

فقد أخذ الله عليهم المواثيق لئن جاء الرسول وهم موجودون ليؤمنن به ولينصرنه فأقروا على ذلك.

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة عندما وجد عمر بن الخطاب يقرأ في صحيفة.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ.

فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ فَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».

رواه احمد: ١٤٦٢٣، وحسنه الألباني في إرواء الغليل: ٦/ ٣٤.

وقد صرح القرآن ببشارة عيسى برسولنا عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ»

(الصف: ٦).

وجاءت السنة بما جاء به القرآن:

فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ: دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ».

رواه أحمد: ١٦٥٣٧، وحسنه الألباني في المشكاة: ٣/ ٢٥١.

وقد ورد في القرآن ما يثبت أن أوصافه عليه الصلاة والسلام وردت في التوراة والإنجيل.

قال سبحانه: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف: ١٥٧).

ورسولنا صلى الله عليه وسلم هو سيد الأنبياء وخاتمهم، ونور هذا الموكب النبوي الكريم من عهد آدم إلى آخر وختام هذه النبوة المباركة.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلِى

وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قبلي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟

قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ». رواه البخاري: ٣٣٤١، مسلم: ٦١٠١.

وَيَوْمَ أَمُوتُ(إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيّ)

كذب اليهود نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، ولم يكتفوا بذلك بل أرادوا قتله، ولكن الله سبحانه تكفل بالدفاع عنه.

قال سبحانه: « وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ» (المائدة: ١١٠).

وفي سورة آل عمران: « وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» (آل عمران: ٥٥).

وَمَكَرُواْ: (أي اليهود، لأنهم رسموا خطة دقيقة لقتل عيسى عليه الصلاة والسلام، وما أراد الله أن ينجيه إلا بمعجزة: أن رفعه من بين أيديهم، وألقى شبهه على واحد من أتباعه المخلصين.

ولا خلاف أن عيسى عليه الصلاة والسلام ما قتل وما صلب، ولكن هل مات عيسى عليه الصلاة والسلام ورفع ميتا، أم رفع حيا، وكيف يخرج قوله تعالى: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ؟

بعض العلماء قال: رفع عيسى عليه الصلاة والسلام إلى السماء بعدما أماته الله.

وبعضهم قال: في الآية تقديم وتأخير، بمعنى: أني رافعك إلي ثم مميتك بعد نزولك إلى الأرض عندما يأتي أجلك.

وبعضهم قال: الوفاة هنا وفاة نوم، وهذا هو الراجح لأن عيسى لم يمت وسيقاتل الدجال، وقد ورد في القرآن ما يدل على أن الوفاة تأتي بمعنى النوم.

قال تعالى: « وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ (يقبضها بالليل ثم يعيدها في النهار) وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (الأنعام: ٦٠)

قال سبحانه: « اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الزمر: ٤٢).

فالناس في النوم على قسمين: منهم من تمسك روحه ويموت،

ومنهم من تعاد .

وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، بمعنى : الله أيضا يتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها فيخرج أرواحها من أجسادها عند نومها ، ويعيدها إلى الأجساد حين الاستيقاظ .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ : «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ » . وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » .

رواه البخاري : ٥٩٥٥ ، ومسلم : ٧٠٦٢ .

وعن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه و سلم : إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ، ثم يقول : باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» . رواه البخاري : ٥٩٦١ .

فيكون بذلك قد اتفقت الأحاديث مع الآيات بأن الوفاة تأتي بمعنى النوم .

واللطيف في التعبير القرآني أنه ذكر الوفاة لعيسى مرتين :

مرة هنا ليدل على النوم عندما أراد بنو إسرائيل قتله ، لأنه لا يمكن أن تكون هذه وفاة موت ، فيكون عيسى قد كتب عليه الموت

مرتين في هذه الحياة، هذه المرة، والأخرى عندما ينزل ليقتل الدجال ، وهذا لا يستقيم.

ومرة في المائدة ليدل على الوفاة الحقيقية التي ستحصل لعيسى عليه الصلاة والسلام، عندما ترك الناس على أتم حال فلا يدري ما أحدثوا بعده.

قال سبحانه: « مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (المائدة: ١١٧).

وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ

لقد طلب اليهود من أنبيائهم ما لا يتصوره العقل، ولا يتخيله الخيال، طلبوا من موسى عليه الصلاة والسلام أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وطلبوا منه أن يريهم الله جهرة.

وفي كل مرة يطلبوا غرائب الأمور فيعاقبهم الله ويشدد عليهم.

ووصل بهم الأمر أن قتلوا الأنبياء ، والذين يأمرون الناس بالقسط ، ووقفوا سدا مانعا دون تطبيق أمر الله في الأرض.

وقد كفرهم الله سبحانه بسبب موقفهم من عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه.

قال سبحانه: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٦-١٥٨).

وقد وضحت الآيات سبب كفرهم:

١- اتهامهم مريم الطاهرة بالزنا.

٢- تخطيطهم لقتل عيسى عليه الصلاة والسلام.

٣- التفاخر بقتل عيسى عليه الصلاة والسلام حسب ادعائهم، ولكن كما قال ربنا سبحانه: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

فقد قتلوا المشبه وظنوا أنهم قتلوا عيسى عليه الصلاة والسلام.

وقد روى لنا حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما أحداث تلك الليلة العظيمة في حديث ذكره ابن كثير في تفسيره(٢/ ٢٥٠)، وقال: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس.

عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء، خرج على أصحابه، وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحواريين:

فخرج عليهم من عين في البيت، ورأسه يقطر ماء.

فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة، بعد أن آمن بي.

ثم قال: أيكم يُلْقَى عليه شبهي، فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟

فقام شاب من أحدثهم سنا، فقال له: اجلس.

ثم أعاد عليهم فقام ذلك الشاب، فقال: اجلس.

ثم أعاد عليهم، فقام الشاب فقال: أنا.

فقال: أنت هو ذاك!

فألقي عليه شَبَه عيسى ورفع عيسى من رَوْزَنَة في البيت إلى السماء.

قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه، ثم صلبوه وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة، بعد أن آمن به.

وافترقوا ثلاث فرق:

فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء. وهؤلاء اليعقوبية.

وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء النسطورية.

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء، ثم رفعه الله

إليه . وهؤلاء المسلمون .

فتظاهرت الكافرتان على المسلمة ، فقتلوها ، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم» .

إذا : هذا حديث صحيح موقوف ، هل له حكم الرفع أم أنه من الإسرائيليات ، هذه المسألة تحتاج إلى حكم من المحدثين .

ونحن نظن في حبر الأمة أنه لا يأخذ من الإسرائيليات .

ولم تذكر القصة من هو هذا الشاب البطولي الذي قدم نفسه لله ، ولا ماذا جرى لمن بقي من الحواريين ، وبقي الكثير من أحداث تلك الليلة مبهما .

لذلك اختلف أهل الكتاب ، فكان أكثرهم يرى أن عيسى قد قتل ، ولكن الله سبحانه أرى الحواريين ماذا صنع بعيسى وكيف رفع من سقف البيت .

لذا عذر العلماء من قال : بأن عيسى قد صلب قبل نزول القرآن .

وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ (وهم اليهود الذين تبجحوا بقتله ، والنصارى الذين قالوا : رسولنا قتل وصلب) فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ من علم .

الهاء في (فيه) (منه) (به) : كلها تعود على القتل والصلب .

ويبدو أن الشاب عندما قتل لم يتكلم أنه ليس عيسى حتى زاد

من شكهم، وهذا منه عظيم كتمان السر فرضي الله عنه.

وبقيت النصرانية على التوحيد بعد رفع عيسى إلى السماء فترة إلى أن تسرب الشرك إليها على يد رجل يهودي ادعى النصرانية يسمى: بولس، ويدعو إلى تأليه عيسى ويقدم أفكارا على النصرانية الصافية، ويجرب عليهم أفكاره.

حتى استقر الأمر في النصرانية من القول بتأليه المسيح إلى القول بالتثليث، مع أن بعض النصارى لا زالوا يؤلهون المسيح، وحورب النصارى الموحدون.

وكما قال ابن عباس في اختلافهم إلى ثلاث فرق.

وقد ذم الله تعالى غلوهم في دينهم وفي عيسى عليه الصلاة والسلام: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ: (أي ثلاثة لهم تحكم في الكون، الأب والابن وروح القدس).

انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا (١٧٢)

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلُيمًا وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا» (النساء: ١٧١-١٧٣).

وقد حذر رسولنا صلى الله عليه وسلم الأمة أن تقع في غلوه كما وقعت النصارى في غلو عيسى عليه الصلاة والسلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله». رواه البخاري: ٣٢٦١.

والله يقيم الحجة على النصارى في الدنيا والآخرة، فلا حاجة لله في اتخاذ الولد، وهل قال عيسى عليه الصلاة والسلام أنه ابن الله؟!

قال سبحانه: «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ

فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (المائدة: ١١٦-١١٩) .

نزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان

رفع عيسى عليه الصلاة والسلام إلى السماء حيا وهو حي إلى يومنا هذا، وسينزل في آخر الزمان ليحق الله الحق على يديه .

فينزل ليقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال .

وقد أخبرنا ربنا سبحانه أن نزول عيسى من علامات الساعة الكبرى التي تدل على قرب قيام الساعة .

فقد أخبر ربنا مريم رضي الله عنها قبل ولادته أنه سيكلم الناس في المهد وهو كهل : «إِذ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ(٤٦)» (آل عمران: ٤٥، ٤٦) .

وفي سورة الزخرف جاء البيان الواضح أنه من علامات الساعة وأماراتها :

قال تعالى: «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ

(٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» (الزخرف: ٥٧- ٦٢).

فالشاهد من الآيات: «وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ».

وقد أورد القرآن في آيات أخرى أن النصارى سيؤمنون به قبل موته وذلك قبيل الساعة.

قال سبحانه: «وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» (النساء: ١٥٩).

فالهاء في كلمة: به، تعود على عيسى عليه الصلاة والسلام باتفاق أهل العلم.

والهاء في موته: تعود أيضا على عيسى على الراجح من أقوال أهل العلم.

وبعض أهل العلم قال أن الهاء تعود على الكتابي: أي قبل موت كل كتابي يرى الحق في مسألة عيسى فيؤمن فلا ينفعه ذلك الإيمان.

والأول أرجح .

وقد وضحت السنة بكل جلاء مسألة نزول عيسى قبيل الساعة ، جاء ذلك في العديد من الأحاديث .

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِى طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا .

فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِى طَائِفَةِ النَّخْلِ .

فَقَالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ .

إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ .

فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً(خلة : طريق) بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً : يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا .

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِى الأَرْضِ؟

قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ ،

وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ.

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟

قَالَ: لاَ اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ.

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِى الأَرْضِ؟

قَالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ.

ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شيء مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ.

ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ(قلت: في الحديث تحديد مكان نزوله بالضبط) بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ (حلتان جميلتان فيهما لون أصفر خفيف

جميل) وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ (قلت : وهذا من عظيم قدرة الله تعالى حيث جعل نفسه في أول حياته فيه حياة للبشر فيحيي به الموتى والآن نفسه فيه موت) .

وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ (نهاية بصره) فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ .

ثُمَّ يَأْتِى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ .

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لاَ يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ (حرز : ضم)عِبَادِي إِلَى الطُّورِ .

وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ(الحدب : الغليظ من الأرض في ارتفاع) يَنْسِلُونَ ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ .

وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِى رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ .

ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ ، فَلاَ يَجِدُونَ فِى الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ .

فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ(البخت : واحدتها البختية وهي : الناقة طويلة العنق ذات السنامين) ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لاَ يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ .

ثُمَّ يُقَالُ : لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّى بَرَكَتَكِ .

فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا ، وَيُبَارَكُ فِى الرِّسْلِ(اللبن) ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ(اللقحة : الناقة ذات اللبن قريبة العهد بالولادة) مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِى الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِى الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ .

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» . رواه مسلم: ٧٥٦٠.

غريب الحديث:

يرغب : يدعو .

الزلفة : المكان يحفر ليحبس فيه ماء السماء وقيل المرآة .

الزهم : الريح المنتنة .

السارحة : الماشية .

اليعاسيب : جمع يعسوب وهو ذكر النحل .

عاث : أفسد .

الفئام : الجماعة الكثيرة .

الفخذ : حي الرجل إذا كان من أقرب عشيرته .

الفرسى : جمع الفريس وهم القتلى .

القحف : القشر .

القطط : شديد جعودة شعر الرأس .

يكن : يستر .

الممحل : المجدب المقحط .

المْدر : القرى والأمصار واحدتها مدرة .

ينسلون : يخرجون مسرعين .

النغف : جمع النغفة ، وهو دود يوجد في أنوف الإبل والغنم فتموت به في أقرب وقت .

يتهارجون : يجامعون النساء بحضرة الناس .

المهرودة : الحلة أو الشقة وقيل الثوب المهرود الذى يصبغ بالورس والزعفران .

الوبَر : البيت المتخذ من صوف الإبل والمراد أهل البادية .

ومن الأحاديث التي تدل على نزوله عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال :

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أكثر خطبته : حديثا حدثناه عن الدجال ، وحذرناه فكان من قوله أن قال :

يا أيها الناس ! إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال ، وإن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال ، و أنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة .

فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج لكل مسلم ، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، و إنه يخرج من خلة بين الشام والعراق ، فيعيث يمينا و شمالا يا عباد الله ! أيها الناس ! فاثبتوا .

فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه قبلي نبي : إنه يبدأ فيقول

: أنا نبي ولا نبي بعدي .

ثم يثني فيقول : أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور .

وإنه مكتوب بين عينيه : كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب ،

وإن من فتنته : أن معه جنة و نارا ، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستغث بالله ، وليقرأ فواتح الكهف : فتكون بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم .

وإن من فتنته أن يقول للأعرابي : أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك ؟

فيقول : نعم .

فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان : يا بني اتبعه فإنه ربك .

وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة ، فيقتلها ينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين، ثم يقول : انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه ثم يزعم أن له ربا غيري فيبعثه الله .

ويقول له الخبيث : من ربك ؟

فيقول : ربي الله، وأنت عدو الله أنت الدجال، والله ما كنت

قط أشد بصيرة بك مني اليوم .

وإن من فتنته : أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت ؛

وإن من فتنته : أن يمر بالحي فيكذبونه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت ؛

وإن من فتنته : أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ، و يأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت ، وأعظمه وأمده خواصر ، وأدره ضروعا .

وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه ، إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة حتى ينزل عند الضريب الأحمر عند منقطع السبخة ، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فتنفي الخبيث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص .

قيل : فأين العرب يومئذ ؟

قال : هم يومئذ قليل ، وجلهم ببيت المقدس ، وإمامهم رجل صالح ، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح ، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى

ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه .

ثم يقول له : تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف .

قال عيسى : افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء؛ و ينطلق هاربا .

ويقول عيسى : إن لي فيك ضربة لن تسبقني ، فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله .

فيهزم الله اليهود ، فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل يتواقى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء ، لا حجر ولا شجر ولا حائط و لا دابة، إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق ، إلا قال : يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله .

فيكون عيسى بن مريم في أمتي حكما عدلا وإماما مقسطا ، يدق الصليب ، ويذبح الخنزير (تأكيدا منه على تحريمه ونجاسته)، ويضع الجزية (فلا يقبلها فإما الإسلام وإما الحرب)، ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير .

وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمة ، حتى يدخل الوليد يده في فيّ الحية فلا تضره ، وتضر الوليدة الأسد

فلا يضرها .

ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء ، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله ، وتضع الحرب أوزارها،

وتسلب قريش ملكها(أي تسلبه من أي أيدي الظلمة والكفرة ، فيعود الملك لقريش لأن المهدي من قريش) .

وتكون الأرض كفاثور الفضة(الفاثور: المائدة، والمقصود أن الأرض ستؤتي ثمارها على أكمل وجه) تنبت نباتها بعهد آدم(أي: كما كانت في عهد آدم فيها البركة قبل أن يكون الكفر والطغيان) حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ، ويكون الثور بكذا وكذا من المال ويكون الفرس بالدريهمات .

قالوا : يا رسول الله و ما يرخص الفرس؟

قال : لا تركب لحرب أبدا .

قيل : فما يغلي الثور؟

قال : تحرث الأرض كلها .

وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد :

يأمر الله السماء السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها .

ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها .

ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله ، فلا تقطر قطرة ، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء ، فلا يبقى ذات ظلف ، التهليل والتكبير والتحميد ويجزئ ذلك عليهم مجزأة الطعام .

رواه ابن ماجه : ٤٠٧٧ ، وصححه الشيخ إبراهيم العلي في الأحاديث الصحيحة : ٣١٤ .

قوله : ويضع الجزية : فهذا ليس نسخا من عيسى عليه السلام للأحكام الشرعية ، بل إن رسولنا صلى الله عليه وسلم هو الذي أخبر عن النسخ ، فالجزية تشريع سماوي حتى ينزل عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

ومن الأحاديث الأخرى في نزوله عليه الصلاة والسلام :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ،

ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» . رواه البخاري : ٢١٠٩، ومسلم : ٤٠٦ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلاً فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلاَصُ(يترك أصحاب الإبل خيارها لزهدهم في الدنيا) ، فَلاَ يُسْعَى عَلَيْهَا وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلاَ يَقْبَلُهُ أَحَدٌ» . رواه مسلم : ٤٠٨ .

عن حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ : اطَّلَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ .

فَقَالَ : مَا تَذَاكَرُونَ؟

قَالُوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ .

قَالَ : إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ، فَذَكَرَ :

الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ .

وَثَلاَثَةَ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ» . رواه مسلم : ٧٤٦٧ .

وعَنْ حَنْظَلَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ :

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا(أي يجمع بين الحج والعمرة)» . رواه مسلم: ٣٠٨٩ .

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قالُ : سَمِعْتُ النبي صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أمتي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، قَالَ : فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم ، فَيَقُولُ : أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا .

فَيَقُولُ : لاَ ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ» . رواه مسلم: ٤١٢ .

وفي رواية عند البخاري(٣٤٤٩) :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ» .

وهذا لا يتعارض مع الحديث الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم : «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَأَمَّكُمْ» . رواه مسلم: ٤١٠ .

فالمقصود من الحديث أن عيسى أمهم بمعنى : حكمهم بكتاب الله ، فالإمامة هنا إمامة السلطان ، وليست إمامة الصلاة لأنه جاء التصريح بأن عيسى سيكون مأموما خلف واحد من هذه الأمة :

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه».

قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٩٣):

عزاه السيوطي في « الجامع « لأبي نعيم في « كتاب المهدي « عن أبي سعيد وقال المناوي: « وفيه ضعف « .

وأقول: لم يتيسر لي حتى الآن الوقوف على إسناده، ومع ذلك فالحديث عندي صحيح لأنه جاء مفرقا في أحاديث. أ ه.

وهذا أيضا فيه رد على الذين يزعمون أن عيسى ينزل نبيا، فكيف تقولون بأن نبيكم هو آخر الأنبياء؟

نقول: أن عيسى ينزل ليحكم الناس بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه حتى في الإمامة يرفض إمامة الناس بل يجعل نفسه مأموما خلف المسلمين.

فعن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمْ اللَّهُ مِنْ النَّارِ: عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ، وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام».

رواه أحمد: ٢١٣٦٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ١٩٣٤.

والشاهد في الحديث قوله: من أمتي.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَابِقَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ.

فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لاَ وَاللَّهِ لاَ نُخَلِّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا.

فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لاَ يُفْتَنُونَ أَبَدًا.

فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ.

فَيَخْرُجُونَ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشام خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ (إمامة سلطان وليس إمامة صلاة كما أسلفنا) فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، فَلَوْ تَرَكَهُ لاَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ».

رواه مسلم: ٧٤٦٠.

والسر في الإصرار على قتله أن الناس ربما لا يصدقون موته إلا إذا رأوه مقتولا، فالقتل أبلغ من الموت، خصوصا لمجرم مثل

الدجال .

رسولنا يصف لنا عيسى ابن مريم.

التقى رسولنا صلى الله عليه وسلم بعيسى ابن مريم في رحلة الإسراء والمعراج، كما أخبرنا بذلك عليه الصلاة والسلام، فيما رواه الإمام البخاري : (٣٠٣٥)، من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم :

. . . . .فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا ، قيل : من هذا؟

قال : جبريل .

قيل : من معك؟

قال : محمد .

قيل : وقد أرسل إليه؟

قال : نعم .

قيل : مرحبا، ولنعم المجيء جاء .

فأتيت على آدم فسلمت عليه، فقال : مرحبا بك من ابن ونبي .

فأتينا السماء الثانية، قيل : من هذا؟

قال : جبريل .

قيل: من معك؟

قال: محمد صلى الله عليه وسلم.

قيل: أرسل إليه؟

قال: نعم.

قيل: مرحبا به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على عيسى ويحيى، فقالا: مرحبا بك من أخ ونبي....».

وقد أخبرنا عليه الصلاة والسلام ببعض صفاته الخلقية، فمنها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ليلة أسري بي رأيت موسى وإذا هو رجل ضرب رجل(بكسر الجيم) شعره ليس مجعدا ولا أملسا بين ذلك كأنه من رجال شنوءة(اسم قبيلة).

ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس.

وأنا أشبه ولد إبراهيم به.

ثم أتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فقال اشرب أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقيل أخذت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك». رواه البخاري: ٣٢١٤.

غريب الحديث:

ضرب : نحيف خفيف اللحم .

ربعة : لا طويل ولا قصير .

أحمر : لونه أحمر إلى البياض(يقال أبيض مشرب بالحمرة) .

كأنما خرج من ديماس : متدفق حيوية ونشاطا كأنما خرج من حمام(مغتسل) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة .

ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس .

ورأيت مالكا خازن النار ، والدجال في آيات أراهن الله إياه(أي لرسول الله) «فلا تكن في مرية من لقائه»(أي لقاء موسى عليه السلام) . رواه البخاري : ٣٠٦٧، مسلم : ٤٣٧ .

غريب الحديث:

آدم : أسمر .

طوالا : طويل .

جعدا : مجعد الشعر .

مربوعا : لا قصيرا ولا طويلا .

مربوع الخلق : معتدل الخلقة كسابقتها .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه و سلم : «رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى : فأحمر جعد(في شعره انثناء) عريض الصدر، وأما موسى : فآدم جسيم سبط (طويل الشعر)كأنه من رجال الزط (بضم الزاي وتشديد الطاء ، وهم رجال طوال من السودان) . رواه البخاري : ٣٢٥٥.

وعن نافع قال عبد الله : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوما بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال : «إن الله ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام فإذا رجل آدم ، كأحسن ما يرى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه ، رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا ؟

فقالوا : هذا المسيح بن مريم .

ثم رأيت رجلا وراءه جعدا قططا أعور العين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن واضعا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت

فقلت من هذا ؟

قالوا : المسيح الدجال» .

رواه البخاري : ٣٢٥٦ .

غريب الحديث:

بين ظهراني الناس : جالسا في وسط الناس ظاهرا لهم لا مستخفيا عنهم .

عنبة طافية : العنبة الطافية هي الحبة الكبيرة التي خرجت عن أخواتها .

لمته : هي الشعر إذا جاوز شحم الأذنين سميت بذلك لأنها ألمت بالمنكبين .

قططا : شديد جعودة الشعر .

بابن قطن : هو عبد العزى بن قطن بن عمرو الجاهلي الخزاعي ، وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها ، مات في الجاهلية كما قال الإمام الزهري .

فتح الباري : ٦/ ٤٨٨ .

وبذلك تكتمل الصورة الخلقية لعيسى عليه الصلاة والسلام :

فهو رجل متوسط القامة، لونه أبيض مشرب بالحمرة، شعر

رأسه ممتد إلى منكبيه، وجهه متدفق حيوية كأنما خرج من مغتسل.

*وإذا كانت هذه أوصافه الخلقية غاية في الجمال، فأوصافه الدينية بلغ فيها مرتبة الكمال الإيماني التي يبلغها الأنبياء.

وقد وصف لنا رسولنا عليه الصلاة والسلام أنه بلغ من عيسى لتعظيمه لله تعالى أنه يكذب عينه التي يرى بها لأجل رجل حلف بالله كاذبا.

فعن أبي هريرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق، فقال له أسرقت ؟

قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو.

فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني».

رواه البخاري: ٣٢٦٠، ومسلم: ٢٣٦٨.

موت عيسى عليه الصلاة والسلام.

لقد حدد لنا رسولنا صلى الله عليه وسلم المدة التي يعيشها عيسى عليه الصلاة والسلام بعد نزوله على الأرض.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ليس بيني وبين عيسى نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه

رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل.

فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون».

رواه أبو داود: ٣٧٦٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٥٣٨٩.

ولا تعارض بين هذا الحديث وبين بعض الأحاديث التي فيها تحديد المدة بسبع سنين، ومنها رواية مسلم(٧٥٦٨):

عن عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرو، وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ، تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا.

فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَوْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لاَ أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا إِنَّمَا قُلْتُ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا يُحَرَّقُ الْبَيْتُ وَيَكُونُ وَيَكُونُ.

ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِى أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لاَ أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ

(سيد ثقيف) فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ.

ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشام فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْض أَحَدٌ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ، أَوْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِى كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ».

فالسبع سنين ليس بين اثنين عداوة، وليس للبث عيسى في الأرض.

العيشة بعد عيسى

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «طوبى لعيش بعد المسيح، طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات ، فلو بذرت حبك على الصفا لنبت، ولا تشاح ، ولا تحاسد ، ولا تباغض ، حتى يمر الرجل على الأسد ولا يضره ، ويطأ على الحية فلا تضره ، ولا تشاح ، ولا تحاسد ، ولا تباغض».

قال الألباني في السلسلة الصحيحة(١٩٢٦):

رواه أبو بكر الأنباري في حديثه: (ج ١ ورقة ٦ / ١ - ٢)، . . . . . . ورواه الضياء في» المنتقى من مسموعاته بمرو « (١٢٧ / ١ - ٢) من طريق أبي جعفر البغدادي: حدثنا جعفر بن محمد به .

قلت : فالإسناد صحيح . أ هـ.

رسولنا يحملنا أمانة.

هذه أمانة من رسولنا صلى الله عليه وسلم يحملها لمن أدرك عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان : أن يبلغه السلام من رسولنا صلى الله عليه وسلم.

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أدرك منكم عيسى ابن مريم فَلْيُقْرِئْهُ مني السلام» .

رواه الحاكم : ٨٦٣٥، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة : ٢٣٠٨ .

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ

لقد اختلف الناس في شأن عيسى عليه الصلاة والسلام وكل يروي قصته :

فمن حاقد يفتخر بقتله، إلى متأسف على قتله ، وكلاهما كافر، لأن القول الحق في أمره هو الذي أخبر به رب العالمين، فما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.

وقد عقب سبحانه في ختام الآيات التي تحدثت عن عيسى بقوله :

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم: ٣٤) : هذا هو القول الصحيح في عيسى ، وهذه قصته التي اختلف فيها الناس من بعد، لأنه:

«مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (مريم: ٣٥) :

فليس له سبحانه حاجة في الولد، لأنه القوي الذي لا يغلب ، والعزيز الذي لا يقهر ، والغني الذي لا يحتاج لنفقة أحد.

« وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (مريم: ٣٦) .

ولكن ماذا حصل من الناس والفرق والأحزاب؟

«فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ" : وهم اليهود والنصارى أساسا، وسائر الملل الأخرى ، وحتى النصارى منقسمون إلى ملل كثيرة.

وما دام أنهم لم يؤمنوا بما جاء به الله من الحق فليرتقبوا يوم القيامة:

« فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (مريم: ٣٧) .

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا : فما أسمعهم وما أبصرهم للحق يوم يأتون للقاء المولى سبحانه، لأنهم في الدنيا قد أغلقوا عيونهم وآذانهم عن سماع الحق.

«لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ (في الدنيا) فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ» (مريم: ٣٨) .

وماذا ينفع الندم يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تكثر فيه الحسرات:

«وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» (مريم: ٣٩).

فالحقيقة التي عليهم أن يعرفوها جيدا:

«إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ» (مريم: ٤٠).

لطائف قرآنية:

الأولى:

لماذا ذكر مع عيسى ابن مريم، همزة ابن، مع أنها لا تذكر إذا وقعت بين علمين؟

الجواب: لأنها لا تذكر إلا إذا وقعت بين العلم ونسب أبيه(اسم الرجل أو البنت واسم الأب)، وأما الأم فتذكر، كما نقول: الحسن ابن فاطمة.

الثانية:

ذكر القرآن أن موسى عليه الصلاة والسلام قال لقومه: «يا قوم».

بينما قال عيسى عليه الصلاة والسلام: «يا بني إسرائيل».

لأن الإنسان ينسب إلى أبيه وعائلة أبيه، وعيسى عليه الصلاة والسلام ليس له أب فينسب إلى أمه، وأما موسى عليه الصلاة والسلام فهو ابن عمران.

المبحث الثاني:

حقيقة النصرانية

لماذا سميت النصرانية بهذا الاسم؟

سمي النصارى بهذا الاسم لأمرين اثنين:

١- نسبة إلى مدينة الناصرة التي يدعون أنها منشؤهم، وهي قرية من قرى فلسطين التي احتلها اليهود عام ١٩٤٨م.

٢- أو: لأنهم يدعون زورا وبهتانا أنهم نصروا عيسى عليه الصلاة والسلام.

وربما يستدل بعضهم بالقرآن استدلالا في غير محله بقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» (الصف: ١٤). ويطلق النصارى على أنفسهم أيضا اسم: المسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام؛ لكن لم ترد هذه التسمية في القرآن، ولا في السنة، وهي تسمية لا توافق واقعهم، لتحريفهم دين المسيح ومخالفتهم لما جاء به.

ولذا ينبغي علينا كمسلمين أن نلتزم بما جاء به القرآن، فقد

سماهم: النصارى ، وسماهم : أهل الكتاب .

وسئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : يَرِدُ على ألسنة بعض المسلمين كلمة « مسيحية » حتى إنهم لا يميزون بين كلمتَي « نصراني » ، و « مسيحي » ، حتى في الإعلام الآن يقولون عن النصارى : مسيحيين ، فبدل أن يقولوا : هذا « نصراني»، يقولون : هذا « مسيحي » ، فنرجو التوضيح لكلمة « المسيحية» هذه ، وهل صحيحٌ أنها تطلق على ما ينتهجه النصارى اليوم ؟ .

فأجاب :

«الذي نرى أن نسمي « النصارى » بـ « النصارى » ، كما سماهم الله عز وجل ، وكما هو معروف في كتب العلماء السابقين ، كانوا يسمونهم : « اليهود والنصارى » .

لكن لما قويت الأمة النصرانية بتخاذل المسلمين : سَمَّوا أنفسهم بالمسيحيين ؛ ليُضْفوا على ديانتهم الصبغة الشرعية ، ولو باللفظ ، وإلا فأنا على يقين أن المسيح عيسى بن مريم رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء منهم ، وسيقول يوم القيامة إذا سأله الله : «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ »(المائدة: ١١٦)؟

سيقول : « سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن

كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ. . »(المائدة: ١١٦، ١١٧) إلى آخر الآية .

سيقول هذا في جانب التوحيد .

وإذا سئل عن الرسالة فسيقول : يا رب! إني قلت لهم : «يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ»(الصف: ٦)، فهو مقرر للرسالات قَبْلَه ، وللرسالة بَعْدَه عليه الصلاة والسلام ، فأمر أمته بمضمون شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ ولكن أمته كفَرَت ببشارته ، وكفَرَت بما أتى به من التوحيد ، فقالوا : «إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ» (المائدة: ٧٣)، وقالوا : «الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ » (التوبة: ٣٠) ، وقالوا : «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» (المائدة: ١٧) ، نسأل الله العافية .

الحاصل : أني أقول : إن المسيح عيسى بن مريم بريءٌ منهم ، ومما هم عليه من الدين اليوم ، وعيسى بن مريم يُلْزِمهم بمقتضى رسالته من الله أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ ليكونوا عباداً لله .

قال الله تعالى : «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً

أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ٦٤)» لقاءات الباب المفتوح : اللقاء ٤٣/ ص ١٤ .

النصارى دينهم محرف وهم يشهدون على ذلك:

مما لا شك فيه في ديننا أن النصارى واليهود دينهم محرف ، وقد تضافرت الأدلة من القرآن على ذلك ، فمنها :

١- قوله تعالى : «أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (البقرة: ٧٥) .

قال القاسمي :

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ : ولا يتوهم من ذلك دفع تحريفهم اللفظيّ عن التوراة ، فإنه واقع بلا ريب ، فقد بدلوا بعضاً منها وحرفوا لفظة ، وأوّلوا بعضاً منها بغير المراد منه .

وكذا يقال في الإنجيل ، ويشهد لذلك كلام أحبارهم .

فقد نقل العلامة الجليل الشيخ رحمه الله الهندي في كتابه « إظهار الحق» : أن أهل الكتاب سلفاً وخلفاً، عادتهم جارية بأنهم يترجمون غالباً الأسماء في تراجمهم ، ويوردون بدلها معانيها ، وهذا خبط عظيم

ومنشأ للفساد ، أنهم يزيدون تارة شيئاً بطريق التفسير في الكلام ، الذي هو كلام الله في زعمهم ، ولا يشيرون إلى الامتياز .

وهذان الأمران بمنزلة الأمور العادية عندهم ، ومن تأمل في تراجمهم المتداولة بألسنةٍ مختلفة وجد شواهد تلك الأمور كثيرة»

محاسن التأويل : باب ٧٥ ترقيم الشاملة .

٢- قوله تعالى : « مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ» (النساء : ٤٦) .

قال الشيخ أبو بكر الجزائري : «

﴿هَادُوا﴾ : أي : اليهود، قيل لهم ذلك لقولهم : ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ ، أي : تبنا ورجعنا .

﴿يُحَرِّفُونَ﴾ : التحريف : الميل بالكلام عن معناه إلى معنى باطل للتضليل .

﴿الْكَلِمَ﴾ : الكلام، وهو كلام الله تعالى في التوراة .

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : ١/ ٤٨٥ .

ومثل هذه الآية الآيات الآتية :

٣- قوله تعالى : «فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ

وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»(المائدة: ١٣).

قال ابن عاشور في معنى يحرفون الكلم عن مواضعه:

« يعدلون بالكلم النبوية عن مواضعها ، فيسيرون بها في غير مسالكها، وهو تبديل معاني كتبهم السماوية.

وهذا التحريف يكون غالبا بسوء التأويل اتباعا للهوى، ويكون بكتمان أحكام كثيرة مجاراة لأهواء العامة.

قيل: ويكون بتبديل ألفاظ كتبهم ، وعن ابن عباس : ما يدل على أن التحريف فساد التأويل»

التحرير والتنوير: ٥/ ٦٢.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ

تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (المائدة: ٤١)

٤- قوله تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ»(آل عمران: ٧١).

قال الشوكاني:

«قوله: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الحق بالباطل﴾ يقول: لم تخلطون اليهودية، والنصرانية بالإسلام، وقد علمتم أن دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره الإسلام: ﴿وَتَكْتُمُونَ الحق﴾ يقول: تكتمون شأن محمد، وأنتم تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، والإنجيل».

فتح القدير: ١/ ٤٨١.

٥- قوله تعالى: «وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَتَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ» (آل عمران: ١٨٧).

قال الألوسي:

«﴿وَإِذْ أَخَذَ الله ميثاق الذين أُوتُواْ الكتاب﴾: والمراد بهم: إما أحبار اليهود خاصة، وإليه ذهب ابن جبير،

وهو المروي عن ابن عباس من طريق عكرمة .

وإما ما يشملهم وأحبار النصارى ، وهو المروي عنه من طريق علقمة . . . .

﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ : جواب ﴿ ميثاق ﴾ لتضمنه معنى القسم ، والضمير للكتاب أي بالله لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار التي من جملتها أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية ، وظاهر كلام السدي وابن جبير أن الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم وإن لم يصرح باسمه الشريف عليه الصلاة والسلام» .

تفسير الألوسي: ٣/ ٣٥٢.

٦- قوله تعالى: «فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ» (البقرة: ٧٩) .

قال الشوكاني :

« ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكتاب بأيديهم ﴾ قال : هم أحبار اليهود ، وجدوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبة في التوراة أكحل ، أعين ، ربعة ، جعد الشعر ،

حسن الوجه ، فلما وجدوه في التوراة مَحَوهُ حسداً ، وبغياً ، فأتاهم نفر من قريش ، فقالوا : تجدون في التوراة نبياً أمياً؟ فقالوا : نعم ، نجده طويلاً ، أزرق ، سبط الشعر . فأنكرت قريش ، وقالوا : ليس هذا منا» .

فتح القدير : ١/ ١٣٠ .

قال الزحيلي في تفسير الآية :

«ووقع التحريف بنوعيه أيضا في الإنجيل ، كما وقع في التوراة ، والدليل واضح وهو ضياع أصل كلا هذين الكتابين ، وكتابتهما بأيدي العلماء بعد عشرات السنين» .

التفسير المنير : ١/ ٢٠٠ .

وقد وجدت على موقع الدعوة الإسلامية : ww. eld3wah . net /html /mokdmat /1-3 . htm

للباحث معاذ عليان ما يثبت وقوع التحريف في الإنجيل ، وبكلمات من الإنجيل ، ومن الأمثلة على ذلك :

**إرميا ٢٣عدد ٣٦ : أما وحي الرب فلا تذكروه بعد ، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرّفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا .

**إرميا ٨ عدد٨ : كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا حقا إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب .

**مزمور٥٦ عدد ٥ : اليوم كله يحرفون كلامي عليّ كل أفكارهم بالشر .

كما أن النصارى يشهدون على وقوع التحريف في كتبهم .

جاء في موقع الإسلام سؤال وجواب ما يأتي :

جاء في دائرة المعارف الأمريكية (٢٧/ ٢٩٤) :

لقد بدأت عقيدة التوحيد - كحركة لاهوتية - بداية مبكرة جدا في التاريخ ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين .

لقد اشتُقَّت المسيحية من اليهودية ، واليهودية صارمة في عقيدة التوحيد .

إن الطريق الذي سار من أورشليم [مجمع تلاميذ المسيح الأول] إلى نيقية [حيث تقرر مساواة المسيح بالله في الجوهر والأزلية عام ٣٢٥م] كان من النادر القول بأنه كان طريقا مستقيما .

إن عقيدة التثليث التي أقرت في القرن الرابع الميلادي

لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يختص بطبيعة الله ؛ لقد كانت على العكس من ذلك انحرافا عن هذا التعليم ، ولهذا فإنها تطورت ضد التوحيد الخالص ، أو على الأقل يمكن القول بأنها كانت معارضة لما هو ضد التثليث .

كما أن انتصارها لم يكن كاملا .

ويقول وول ديورانت :

لما فتحت المسيحية روما انتقلت إلى الدين الجديد (أي المسيحي) دماء الدين الوثني القديم : لقب الحبر الأعظم ، وعبادة الأم العظمى ، وعدد لا يحصى من الأرباب التي تبث الراحة والطمأنينة في النفوس .

وتمتاز بوجود كائنات في كل مكان لا تدركها الحواس ، كل هذا انتقل إلى المسيحية كما ينتقل دم الأم إلى ولدها .

وأسلمت الإمبراطورية المحتضرة أَزِمَّة الفتح والمهارة الإدارية إلى البابوية القوية ، وشحذت الكلمة بقوة سحرها ما فقده السيف المسلول من قوته ، وحل مبشرو الكنيسة محل الدولة .

إن المسيحية لم تقض على الوثنية ، بل ثبتتها ؛ ذلك

أن العقل اليوناني عاد إلى الحياة في صورة جديدة ، في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، ونقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الرهيبة ، وجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ، ويوم الحساب ، وأبدية الثواب والعقاب ، وخلود الإنسان في هذا أو ذاك .

ومن مصر جاءت عبادة الأم الطفل ، والاتصال الصوفي بالله ؛ ذلك الاتصال الذي أوجد الأفلاطونية واللاأدرية ، وطمس معالم العقيدة المسيحية .

ومن بلاد الفرس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض لمدة ١٠٠٠عام .

قصة الحضارة: ١١/ ٤١٨ .

وعلى الرغم من النفثة الإلحادية في كلام ديورانت ، وهو أمر معروف به ، والتي تظهر في زعمه أن أبدية الثواب والعقاب منقولة عن المصرية ، فإن تتبع الأصول الوثنية للنصرانية المحرفة لم يعد بالأمر الخفي ، ولم ينفرد هو ببحثه .

فقد قال الكاتب الأمريكي درابر :

دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين

الذين تقلدوا وظائف خطيرة ، ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية ، ولم يكونوا يحتفلون بأمر الدين ، ولم يخلصوا له يوما من الأيام .

وكذلك كان قسطنطين فقد قضي عمره في الظلم والفجور ، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية ، إلا قليلا في آخر عمره ٣٣٧م .

إن الجماعة النصرانية ، وإن كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ، ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية ، وتقتلع جرثومتها ، وكان نتيجة كفاحها أن اختلطت مبادئها ، ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء .

بينما يذهب المستشرق الفرنسي ليون جوتيه في كتابه « مقدمة لدراسة الفلسفة الإسلامية إلى أن :

أصول التثليث النصراني ينبغي تلمسها في الفلسفة اليونانية ، وتحديدا في أفكار الأفلاطونية المحدثة ، التي تلقت مبادئ فكرة التثليث في النظرة إلى خالق الكون عن أفلاطون .

ثم عمقتها إلى حد كبير ، بحيث اتضح التشابه الكبير

بينها وبين النصرانية .

فالخالق ذو الكمال المطلق ، جعل بينه وبين العالم وسيطين ، صادرين عنه ، وهما أيضا داخلان فيه في نفس الوقت ؛ أي تتضمنهما ذاته ، وهما العقل والروح الإلهية .

ثم قال :

وهكذا كان التزاوج بين العقيدة اليهودية والفلسفة الإغريقية لم ينتج فلسفة فقط ، بل أنتج معها دينا أيضا ، أعني : المسيحية التي تشربت كثيرا من الآراء والأفكار الفلسفية عن اليونان .

ذلك أن اللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين الذي كانت فيه الأفلاطونية الحديثة ، ولذا تجد بينهما مشابهات كثيرة ، وإن افترقا أحيانا في بعض التفاصيل ، فإنهما يرتكزان على عقيدة التثليث ، والثلاثة الأقانيم واحدة فيهما . أ هـ

وهكذا سلك النصارى بدينهم مسلك الذين كفروا من قبلهم ، حذو القذة بالقذة ، كما يشهد كتابهم على أنفسهم وبني قومهم ، وكفى بالله شهيدا .

قال الله تعالى : «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» (التوبة: ٣٠) . أهـ.

وقال شيخ الإسلام :

وأما الأناجيل التي بأيدي النصارى فهي أربعة أناجيل :

إنجيل متى ، ولوقا ، ومرقس ، ويوحنا ، وهم متفقون على أن لوقا ومرقس لم يريا المسيح ، وإنما رآه متى ويوحنا .

وأن هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الإنجيل ، وقد يسمون كل واحد منها إنجيلا ، إنما كتبها هؤلاء بعد أن رفع المسيح ، فلم يذكروا فيها أنها كلام الله ، ولا أن المسيح بلغها عن الله ، بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح وأشياء من أفعاله ومعجزاته . أ هـ

الجواب الصحيح : ٣/ ٢٢ .

يقول ابن حزم :

وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم في أنه لم يؤمن بالمسيح في حياته إلا مائة وعشرون رجلا

فقط ، هكذا في الأفركسيس ونسوة منهم : امرأة وكيل هردوس وغيرها كن ينفقن عليه أموالهن ، هكذا في نص إنجيلهم .

وأن كل من آمن به فإنهم كانوا مستترين مخافين في حياته وبعده ، يدعون إلى دينه سرا ولا يكشف أحد منهم وجهه إلى الدعاء إلى ملته ، ولا يظهر دينه ، وكل من ظفر به منهم قتل . . . .

فبقوا على هذه الحال لا يظهرون البتة ، و لا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح عليه السلام .

وفي خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله عز و جل ، إلا فصولا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم وخزيا لهم ، فكانوا كما ذكرنا إلى أن تنصر قسطنطين الملك فمن حينئذ ظهر النصارى وكشفوا دينهم واجتمعوا وآمنوا .

وكل دين كان هكذا فمحال أن يصح فيه نقل متصل لكثرة الدواخل الواقعة فيما لا يؤخذ إلا سرا تحت السيف لا يقدر أهله على حمايته ولا على المنع من تبديله»أهـ.

الفصل في الملل والأهواء والنحل : ٢/ ٤ .

وبالإضافة إلى كل ما أسلفنا فقد ترجمت الأناجيل إلى عدة لغات ، مما أدى إلى وقوع التحريف فيها جميعا ، وقد صارت عشرات الأناجيل ، وإن كان النصارى لا يؤمنون إلا بأربعة منها .

وحتى إيمانهم بأربعة منها فإنه مطعن كبير في دينهم ، ولو سألناهم :

كم إنجيلا نزل من السماء؟

لقالوا : واحد .

أي الأناجيل من هذه الأربعة نزل من السماء؟

لما وجدوا إجابة على هذا السؤال .

ونحن عندما ندعو النصارى للإسلام ، يظن الكثير منهم أننا نعادي دينهم بدون أي سبب ، وأننا نحقد عليهم حبا في العداء .

ولو نظروا في دينهم وقارنوه بديننا لوجدوا الحق ساطعا ناصعا ، ولكن للأسف فكل النصارى لا يهتمون بدراسة دينهم ، ولو دخلت معهم في نقاش جدي لوجدتهم لا يعرفون من أمر دينهم شيء ، فضلا عن معرفة ديننا الحق .

وإنا نسأل الله أن يهديهم جميعا للإسلام .

نبذة عن حياة بولس والفرق النصرانية

ذكرنا فيما سبق أن بولس هو الذي حرف المسيحية وبدلها ، ويعتقد أن ذلك كان فيما بين عام ٥١-٥٥ م ، حيث عقد أول مجمع يجمع بين الحواريين : مجمع أورشليم تحت رئاسة يعقوب بن يوسف النجار ، المقتول رجماً سنة ٦٢م ليناقش دعوى استثناء الأميين .

وفيه تقرر إعمالاً لأعظم المصلحتين استثناء غير اليهود من الالتزام بشريعة التوراة إن كان ذلك هو الدافع لانخلاعهم من ربقة الوثنية على أنها خطوة أولى يلزم بعدها بشريعة التوراة .

كما تقرر فيه تحريم الزنا، وأكل المنخنقة، والدم، وما ذبح للأوثان .

بينما أبيحت فيه الخمر، ولحم الخنزير، والربا مع أنها محرمة في التوراة .

عاد بولس بصحبة برنابا إلى إنطاكية مرة أخرى، وبعد صحبة غير قصيرة انفصلا، وحدث بينهما مشادة عظيمة نتيجة لإعلان بولس نسخ أحكام التوراة، وقوله : إنها كانت لعنة تخلصنا منها

إلى الأبد، وإن المسيح جاء ليبدل عهداً قديماً بعهد جديد.

ولاستعارته من فلاسفة اليونان فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة، أو ابن الإله، أو الروح القدس، وترتيبه على ذلك القول: بعقيدة الصلب، والفداء، وقيامة المسيح، وصعوده إلى السماء ليجلس على يمين الرب ليحاسب الناس في يوم المحشر.

وهكذا كرر بولس نفس الأمر مع بطرس الذي هاجمه، وانفصل عنه مما أثار الناس ضده، لذا كتب بولس رسالة إلى أهل غلاطية ضَمَنَّها عقيدته ومبادئه، ومن ثم واصل جولاته بصحبة تلاميذه إلى أوروبا وآسيا الصغرى ليلقى حتفه أخيراً في روما في عهد نيرون سنة ٦٥م.

وقد استمرت المقاومة الشديدة لأفكار بولس عبر القرون الثلاثة الأولى.

ففي القرن الثاني الميلادي تصدى: هيولتس، وإيبيي فايتس، وأوريجين لها، وأنكروا أن بولس كان رسولاً، وظهر بولس الشمشاطي في القرن الثالث وتبعه فرقته البوليسية إلا أنها كانت محدودة التأثير، وهكذا بدأ الانفصال عن شريعة التوراة وبذرت بذور التثليث والوثنية في النصرانية.

وأما الطوائف الثلاث في المسيحية فهي: الكاثوليك،

والأرثوذكس ، والبروتستانت ، فقد أجمعت هذه الطوائف على القول بألوهية المسيح عليه السلام ، وأنه نزل ليصلب تكفيراً لخطيئة آدم عليه السلام ، كلهم مجمعون على اعتبار الكتب الأربعة : متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا ، وبقية العهد الجديد مع العهد القديم هي : الكتب المقدسة ؛ إلا أنهم يختلفون في بعض الأمور الأخرى .

أ- فالكاثوليك هم أتباع البابا في روما وأهم ما يتميزون به هو :

١- يبيحون أكل الدم والمخنوق .

٢- قولهم بأن الروح القدس انبثق من الأب والابن معا .

٣- أن البابا في الفاتيكان هو الرئيس العام على جميع الكنائس الكاثولوكية .

٤- تحريم الطلاق بتاتاً حتى في حالة الزنا . والكاثوليك هم أكثر الأوروبيين الغربيين وشعوب أمريكا الجنوبية، وتسمى كنيستهم الكنيسة الغربية .

ب- الأرثوذكس : وهم النصارى الشرقيون الذين اتبعوا الكنيسة

الشرقية في القسطنطينية، وأهم ما يتميزون به هو:

١- إن الروح القدس انبثق عندهم من الأب فقط.

٢- تحريم الطلاق إلا في حالة الزنا، فإنه يجوز عندهم.

٣- لا يجتمعون تحت لواء رئيس واحد، بل كل كنيسة مستقلة بنفسها، وهذا المذهب منتشر في أوربا الشرقية وروسيا والبلاد الغربية.

ج -البروتستانت: ويسمون الإنجيليين، وهم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا، وكان ينادي بإصلاح الكنيسة، وتخليصها من الفساد الذي صار صبغة لها، وأهم ما يتميز به أتباع هذه النحلة هو:

١- أن صكوك الغفران دجل وكذب، وأن الخطايا والذنوب لا تغفر إلا بالندم والتوبة.

٢- أن لكل واحد الحق في فهم الإنجيل وقراءته، وليس وقفاً على الكنيسة.

٣- تحريم الصور والتماثيل في الكنائس باعتبارها

مظهراً من مظاهر الوثنية .

٤- منع الرهبنة .

٥- إن العشاء الرباني تذكار لما حل بالمسيح من الصلب في زعمهم ، وأنكروا أن يتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح عليه السلام .

٦- ليس لكنائسهم رئيس عام يتبعون قوله . وهذه النحلة تنتشر في ألمانيا وبريطانيا وكثير من بلاد أوربا وأمريكا الشمالية ، وكل ما عند هذه الطوائف باطل محرف ، وليس من كلام الله تعالى ، وإنما جاء من أفكار القساوسة والأحبار ليضلوا به العباد .

ولو فرضنا أنه بقي شيء صحيح من تعاليم الإنجيل أو التوراة فهو منسوخ بالقرآن ، ولا يجوز اتباعه البتة كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

قال تعالى : «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ» (المائدة : ٤٨) . نقلا من موقع الشبكة الإسلامية بتصرف .

الأنبياء كلهم مسلمون

نعني بالإسلام بمعناه العام : الاستسلام لله تعالى بما أمر .

والأنبياء بهذا المعنى كلهم مسلمون لله تعالى ، وقد سجل القرآن شهاداتهم بذلك ، فالأنبياء عقيدتهم واحدة ولكنهم يختلفون في الشرائع ، بمعنى : في الأمور الفقهية العملية ، ففي هذه : «لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» (المائدة : ٤٨) .

وأما في العقيدة فهم مسلمون ، فكلهم دعا إلى الله بما أمر ، وكلهم ذكر ووعظ وخوف من عقاب الله وناره ، وبشر الطائعين بجنة الله ورضوانه ، وهذا هو الإسلام .

فهذا نوح عليه الصلاة والسلام يشهد لنفسه بالإسلام ، وأنه مأمور به ، كما قال سبحانه حكاية عن نوح : «وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (يونس : ٧٢) .

وهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يشهد لنفسه ولابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام بالإسلام ، ويطلب من ربه أن يجعلهما مسلمين ، فيقول : « رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» (البقرة : ١٢٨) .

وقد شهد له ربه أنه نفذ الأمر الإلهي له بالإسلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢، ١٣١).

وجاء من بعده يعقوب وأسلم لربه كما أسلم أجداده من قبله عليهم الصلاة والسلام: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٣).

وما جاء لوط عليه الصلاة والسلام وما دعا قومه إلا بالإسلام، فأسلمت معه القلة المؤمنة التي أنجاها الله تعالى من العذاب: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الذاريات: ٣٥، ٣٦).

وهذا يوسف عليه الصلاة والسلام يطلب من ربه أن يتوفاه على الإسلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١).

وسليمان النبي عليه الصلاة والسلام جاء بالإسلام ودعا إليه، وطلب من ملكة بلقيس أن تدخل في الإسلام: « قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» (النمل: ٢٩ -٣١).

وقد شرح الله صدرها للإسلام ودخلت فيه: «قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (النمل: ٤٤).

بل إن عيسى عليه الصلاة والسلام ما جاء إلا بالإسلام، وقد شهد الحواريون أنهم على دينه الإسلام: » فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ٥٢).

كفر اليهود والنصارى معلوم من الدين بالضرورة

وبما أن النصارى لا يؤمنون بالإسلام ولا يشهدون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكذا اليهود، فإن هذا وحده كاف للحكم بكفرهم، وأنهم لا يتبعون عيسى عليه الصلاة والسلام حسب زعمهم، بل نحن أحق بعيسى منهم.

والأدلة من القرآن والسنة كثيرة ، نذكر منها :

١- قوله تعالى : «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» (المائدة: ١٧). فبعض طوائف النصارى يقولون بألوهية عيسى عليه الصلاة والسلام ، فهذه الآية صريحة في كفر هؤلاء.

وأما الذين يقولون بالتثليث وهم أكثر النصارى اليوم ، فالآيات القادمة كلها تدل صراحة على كفرهم.

٢- قوله تعالى : «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (المائدة: ٧٣).

قال ابن كثير: «أنزلت في النصارى خاصة، قاله مجاهد وغير واحد. . . . .

ثم اختلفوا في ذلك ، فقيل :

المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة، وهو أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

قال ابن جرير وغيره: والطوائف الثلاث من الملكية، واليعقوبية، والنَّسطورية، تقول بهذه الأقانيم.

وهم مختلفون فيها اختلافًا متباينًا ليس هذا موضع بسطه، وكل فرقة منهم تكفر الأخرى، والحق أن الفرق الثلاث كافرة.

وقال السُّدِّي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار».

تفسير ابن كثير: ٣/ ١٥٨.

٣- قوله تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (التوبة: ٣٠، ٣١).

وهذه الآية صريحة بأن اليهود والنصارى يقولون

بقول الكفار من قبلهم ، فهم مثلهم .

٤- قوله تعالى : «وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» (النساء : ١٥٦-١٥٨) .

وهذه الآية واضحة الدلالة في أن كل من قال بأن عيسى قد قتل أو صلب ، فهو كافر كما هو ظاهر في أول كلمة في الآية ، لأنه كذب كلام الله تعالى ، فعيسى لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله إليه .

٥- قوله تعالى : «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً» (النساء : ١٥٠ ، ١٥١) .

واليهود والنصارى يفرقون بين رسل الله تعالى ، فهم يؤمنون بما شاءوا من الرسل ويتركون ما شاءوا، وكلهم متفقون على تكذيب رسالة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

٦- نقرأ في الفاتحة قول الحق تبارك وتعالى: « غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ» (الفاتحة: ٧) .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن المغضوب عليهم: هم اليهود ، والضالين : هم النصارى .

رواه الترمذي: ٢٩٥٦ ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة: ٣٢٦٣ .

وأما في السنة فالأدلة كثيرة بحمد الله ، منها :

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» .

رواه مسلم: ١٥٣ .

وكلمة (يسمع بي) : فيها دليل واضح صريح أن النصارى في

بلادنا ، وبلاد الإسلام قاطبة وصلتهم الدعوة وصولا تاما ، لا يقبل بعدها لهم عذر يوم القيامة .

وكيف لا تكون وصلتهم وأكثرهم يسمعون خطب الجمعة عبر مكبرات الصوت ، ويستمعون للتلفاز الذي تبث فيه العديد من البرامج الدعوية عن الإسلام ، عدا عن القنوات الإسلامية المتخصصة ، والتي هي كثيرة بحمد الله تعالى .

عدا عن كون أكثر النصارى يدرسون في مدارس يدرس فيها الدين الإسلامي ، وكون العديد منهم يحضر الدروس الإسلامية في المدرسة كما كنا نراهم .

والغريب جدا أن العديد من المسلمين لا زالوا يشكون في مسألة تكفير اليهود والنصارى ويستغربونه ، وبعضهم يستنكرها ، ولعله الجهل في دين الله تعالى ليس إلا .

وقد خطبت أكثر من مرة ، وتكلمت في بعض الدروس عن هذا الأمر المسلم فيه في دين الإسلام ، والغريب أن العديد من المسلمين يأتيني بعد الدرس مستهجنا القول بكفر النصارى ، وبعضهم يجادل ولا يصدق حتى ما ورد في القرآن ، أو يؤولونه تأويلا فاسدا على الأقل ، واحتجاجهم في ذلك أنهم أهل كتاب .

وما علم هؤلاء أنهم حرفوا كتبهم وبدلوا كلام الله تعالى .

ولا بد لي في هذا المقام أن اذكر كلاما لبعض العلماء ، واتفاقهم على تكفير اليهود والنصارى ، وإن شئت فقل : تكفير أهل الكتاب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

إن اليهود والنصارى كفار كفراً معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام .

مجموع الفتاوى : ٣٥ / ٢٠١ .

وقال ابن حزم :

واتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفاراً .

مراتب الإجماع : ص ١١٩ .

ونقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن القاضي عياض :

ولهذا نكفِّر من دان بغير ملة المسلمين من الملل ، أو وقف فيهم ، أو شك ، أو صحح مذهبهم ، وإن أظهر مع ذلك الإسلام ، واعتقد إبطال كل مذهب سواه ، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك .

وعلق عليه الشيخ بقوله :

ومن باب أولى كُفر من قال : أن أهل الكتاب اليهود والنصارى أصحاب شريعة سماوية مجتهدون فيما هم عليه ، فهم على

حق، فهذا كافر بالله.

ومثله من قال: من أحب أن يتدين باليهودية، أو النصرانية، أو بالإسلام، فهو مُخيّر في ذلك فكلهم على حق.

الإعلام بتوضيح نواقض الإسلام: ص ٢١

وقال الحجاوي:

من لم يكفر من دان بغير الإسلام، كالنصارى، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم: فهو كافر.

كشاف القناع: ٦ / ١٧٠.

وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز:

ما حكم مَن لم يكفِّر اليهود والنصارى؟

فأجاب:

هو مثلهم، مَن لم يكفر الكفار: فهو مثلهم، الإيمان بالله هو تكفير من كفر به، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من وحَّد الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله» رواه مسلم: ٣٤.

ويقول جل وعلا: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (البقرة: ٢٥٦).

فلا بد من الإيمان بالله ، وتوحيده والإخلاص له ، والإيمان بإيمان المؤمنين ، ولا بد من تكفير الكافرين ، الذين بلغتهم الشريعة ولم يؤمنوا ، كاليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والشيوعيين ، وغيرهم ، ممن يوجد اليوم ، وقبل اليوم ، ممن بلغتهم رسالة الله ولم يؤمنوا ، فهم من أهل النار كفار ، نسأل الله العافية .

فتوى منشورة على موقع : ملتقى أهل الحديث :

www . ahlalhdeeth . com

٧ . وسئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عن تكفير اليهود والنصارى :

فأجاب : . . . . فمَّن أنكر كفر اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، وكذبوه : فقد كذَّب الله عز وجل ، وتكذيب الله : كفر .

ومن شك في كفرهم : فلا شك في كفره هو . . . . .

فتوى على موقع الإسلام سؤال وجواب :

islamqa . info /ar /ref /125952 .

الرد على من زعم أن عيسى ابن الله

يفتري النصارى على ربهم الذي خلقهم ، ويدعون له ولدا ،

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، ويمكن أن نرد عليهم من وجهين : رد شرعي ، ورد عقلي .

الرد الشرعي:

ويتمثل في الأدلة الشرعية التي تنفي تماما هذه الجريمة ، وتبين قبحها .

إنها أقبح الجرائم على الإطلاق : الشرك بالله تعالى ، الذي لا يغفر الله لمن لقيه يوم القيامة مشركا .

قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا» (النساء : ٤٨) .

فالأنبياء والرسل والدعاة والمخلصون كلهم دعوا إلى توحيد الله سبحانه ، وإخلاص العبادة له سبحانه ، وكم مات من الشهداء ليقرر في البشرية أمر التوحيد ، ويرفع راية لا إله إلا الله .

حتى الجمادات تفطرت من بشاعة هذه الدعوة الآثمة التي يراها المشركون دينا يدينون به إلى الله .

قال تعالى : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن

يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا» (مريم: ٩٥).

وعيسى عليه الصلاة والسلام عبد الله ورسوله ، ما دعا إلا إلى توحيد الله ، وأنكر الشرك ، هكذا قرر القرآن.

قال تعالى: » لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (المائدة: ٧٢- ٧٦).

فهذه الدعوة الآثمة من الغلو المفرط الذي يصل بالإنسان إلى الكفر.

قال تعالى: » يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى

اللَّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً» (النساء: ١٧١) .

بل إن عيسى عليه الصلاة والسلام يتبرأ يوم القيامة ممن جعله إلها من دون الله ، في حوار كبير في مشهد مهيب مع ربه العظيم .

ولك أن تتخيل هذا المنظر ، والناس واقفون للعرض على الله ، ومنهم الملايين التي كفرت بالله لفهمها الآثم في عيسى عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى : » وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (المائدة: ١١٧) .

هذه بعض الأدلة التي نكتفي بها في ردنا الشرعي على من ادعى أن عيسى ابن الله ، تعالى الله عما يقولون .

وأما الرد العقلي:

فيكمن في الأدلة العقلية القاطعة ، والتي ما حاولت استقصاءها، وإنما جمعت القليل منها ،

ولكن :

العبرة في العقول النيرة الباحثة عن الحق في الليل والنهار ، فتبحث عنه في الليل والنهار ، لتسلك سبيله ، لا كما يقولون : الكفر عناد .

والنصارى الذين يعيشون في البلاد العربية تربطهم العصبية المقيتة ، والعادات التي تحول بينهم وبين مجرد التفكير في الحق ، فضلا عن الاستماع إليه واتباعه .

وهنا لا بد من الشجاعة العظيمة من هؤلاء ، والتضحية التي قد تقود إلى سبيل شائك ، وطريق وعر ، فيما إذا قرر الواحد منهم أن يسلك طريق الإسلام ، كما رأينا ذلك .

وأما في أوروبا والعالم الغربي ، فالشعوب هناك متحررة من قيود العادات المقيتة التي تمنع الناس من الدخول في الحق .

لذا تجد الآلاف التي تدخل في دين الله بمجرد دعوة عابرة من رجل بسيط ، فينسجمون مع الحق بسرعة ، لأنه يحل فورا محل

الفراغ الروحي القاتل الذي أوجدته معتقداتهم الباطلة .

وحدثنا من نثق به عن قصص عجيبة في سرعة إسلام هؤلاء الناس ، فقد حدثنا من نثق به وكان في أمريكا فقال: أن الناس يأتون إلى المحلات التجارية ويسألون عن دين جيد لهم ولأولادهم .

وصاحب محل تجاري حدث: أنه أسلم على يديه ١٥٠٠ شخص بمجرد وضع ورقة مع السلع التي يبيعها تعرفهم بالإسلام، فكانوا يقرؤون هذه الورقة ويرجعون إليه في المحل ليعلنوا إسلامهم .

وحدثني رجل عن أخ له يعمل محاضرا في وزارة الخارجية الأمريكية ، ومع أن المنصب الذي يشغله سياسي إلا أن الرجل يستغل جزءا من محاضراته في الدعوة للإسلام ، فكانت الحصيلة أن أسلم على يديه ما يقارب: ١١٠٠ شخص .

وهذا شيء قليل من كثير سمعنا به ، وأقول يا ليت لو أن المسلمين الذين يعملون في الدول الغربية استغلوا فقط ١٪ من وقتهم للدعوة إلى الله لأسلمت شعوب هذه البلاد ، ولدخلت في دين الله أفواجا .

ولنعد إلى الرد العقلي ، الذي نلخصه في النقاط الآتية :

١- بداية إن الذين يقولون بأن عيسى عليه الصلاة والسلام: ابن الله (تعالى الله عما يقولون) متفقون بأسرهم على أن اليهود أخذوه وساقوه بينهم ذليلا مقهورا، وهم يبصقون في وجهه، ويضربونه ثم صلبوه، وطعنوه بالحربة حتى مات، ثم دفن وأقام تحت التراب ثلاثة أيام ، ثم قام من قبره.

فيا لعقولهم: كيف كان حال هذا العالم ، والسموات والأرض ، والنجوم والكواكب ، والبحار والأنهار ، في هذه الأيام الثلاثة، والله سبحانه لا بد له أن يكون حزينا على موت ابنه (تعالى الله عما يقولون) فلا يستطيع أن يدير شؤون هذه المخلوقات.

وقد أحسن ابن القيم رحمه الله وهو يرد على من يؤلهون عيسى عليه الصلاة والسلام ، ويدعون أن له شأنا في تصريف هذا الكون:

فقال رحمه الله:

أعباد المسيح لنا سؤال ... نريد جوابه ممن وعاه
إذا مات الإله بصنع قوم ... أماتوه فما هذا الإله

وهـل أرضـــاه مـا نـالـوه منه فبشراهم إذا نالوا رضاه
وإن سخط الـذي فعلوه فيه فقوتهم إذا أوهـت قـواه
وهـل بقي الـوجـود بـلا إلـه سميع يستجيب لمن دعاه
وهل خلت الطباق السبع لما ثوى تحت التراب وقد علاه
وهـل خلت العـوالم مـن إله يدبرها وقـد سمـرت يـداه
وكيـف تخلت الأمـلاك عنه بنصرهم وقـد سمعوا بكاه
وكيف أطاقت الخشبات حمل الإلـه الحق شـد على قفاه
وكيف دنا الحديد إليه حتى يخـالطه ويـلحقـه أذاه
وكيـف تمكنت أيـدي عـداه وطالت حيث قد صفعوا قفاه
وهـل عـاد المسيح إلى حياة أم المحيـي لـه رب سـواه
ويـا عـجبا لقبـر ضـم ربـا وأعجب منه بطن قد حواه
أقـام هـناك تسعا مـن شهور لدى الظلمات من حيض غذاه
وشـق الفـرج مـولـودا صغيرا ضعيفا فاتحا للثدي فاه
ويـأكل ثـم يـشـرب ثـم يأتي بـلازم ذاك هـل هـذا إلـه
تعالى الله عن إفك النصارى سيسـأل كلهم عما افـتراه
أعـبـاد الصليب لأي معنى يعظم أو يقبح مـن رمـاه
وهل تقضى العقول بغير كسر وإحـــراق لـه ولمـن بغـاه
إذا ركـب الإلـه عليه كرهـا وقـد شـدت لتسمير يـداه
فـذاك المركب الملعون حقا فـدسـه لا تبسـه إذ تـراه
يهـان عليـه رب الخلق طرا وتـعـبـده فـإنـك مـن عـداه
فـإن عظمته مـن أجـل أن قد حوى رب العباد وقد علاه

وقد فقد الصليب فإن رأينا　　　　له شكلا تذكرنا سناه

إغاثة اللهفان: ٢/ ٢٩١.

٢- إذا قلنا: إن عيسى هو ابن الله، فلا بد أن يكون لله زوجة، وهم يقولون بذلك ويجيزون الزواج على الله سبحانه، ويقولون: إنه تزوج من مريم رضي الله عنها.

والغريب جدا أن رهبان النصارى لا يتزوجون بحجة: أن الزواج رجس ونجاسة، ثم إنهم يجيزون الزواج على الله تعالى، ولا أدري كيف يستقيم هذا وذاك.

وأي إله هذا الذي يفعل الرجس والنجاسة التي يترفع عنها رهبانهم.

قال تعالى: « أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (الأنعام: ١٠١).

٣- وإذا قلنا أن الله سبحانه قد تزوج من مريم، وأنجبت منه عيسى عليه الصلاة والسلام، فلا بد

وأنه حصل بينهما معاشرة ، ومن ثم نزول الماء الذي يكون منه الولد ، وهذا محال في حق الله ، أن ينزل منه شيء ، فضلا عن قاذورة مثل هذه ، وأظنهم يقرون بهذا ، ولكن: « فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (الحج: ٤٦).

٤- وإذا قلنا بوجود الولد والزوجة لله ، فهذا يستلزم وجود الأب والأم لله ، وإذا قلنا بذلك فلماذا أخفى الله والديه عن خلقه ، ولم يخرجهما للعالم ليتعرف عليهما ، أو ليعبدهما الناس تكريما لهما.

ولما لم يكن له ولد ولا زوجة فلم يكن له أب أو أم ، وبهذا يستقيم الحال.

٥- وإذا قلنا بوجود الولد لله ، وأن هذا الولد قد صلب وقتل ، فهل عجز الله عن الدفاع عن ولده ، وهو يصلب ويقتل أمامه ، وينظر إلى ولده يتمرغ بدمائه.

فهذا لا يستقيم في حق البشر وهم يدافعون عن أولادهم ، فكيف يستقيم في حق الله تعالى؟

وقد سمعت من بعض أهل العلم أن رجلا مسلما كان يناظر النصارى ، فحدث أن رجل دين نصرانيا جاء ليناظره ومعه طفله الصغير .

وقد كان المسلم صاحب فطنة وذكاء ، فما إن جلس النصراني يتهيأ للمناظرة ، وبجانبه طفله الصغير ، حتى قام المسلم أمام الناس فضرب الولد ، فأخذ النصراني ابنه والصقه به ، فقام المسلم وضربه مرة أخرى ، فقام النصراني إلى المسلم ليضربه .

فقال المسلم : على رسلك ، هل تستطيع أن تدافع عن ابنك وتحميه مني؟

قال : نعم .

قال المسلم : فكيف تقول إن عيسى هو ابن الله ، قتل وصلب أمام الله ، فهل عجز الله وهو الذي يتحكم في السموات والأرض عن الدفاع عن ابنه؟

فأسلم النصراني وأسلم معه جمع غفير من الحضور.

٦- يحتاج الإنسان في حياته إلى الولد، لماذا؟

غالبا لأمور، أهمها الآتي:

١- لأن الإنسان يحس بالنقص والحاجة والفقر، فيطلب الولد حتى يعمل عند كبر الوالد ويسد حاجته، ويقوم بشؤونه عند الكبر.

٢- ويحس بالضعف، فيحتاج إلى ولد يدافع عنه إذا هوجم في هذه الحياة، ليكون له سندا ومعينا ومانعا من أن تمتد إليه أيدي الناس عدوانا.

٣- ويحتاج إلى ولد يحمل اسمه في الحياة، لأنه سيغيب عنها، فيكون الولد هو الخليفة من بعده الذي يكمل المشوار.

وكل هذا محال في حق الله، فلا يحتاج الله إلى ولد ينصره لأنه هو النصير.

ولا يحتاج إلى ولد يطعمه لأنه هو الرزاق، فضلا عن كونه لا يأكل ولا يشرب سبحانه جل في علاه.

ولا يحتاج إلى ولد يحمل اسمه لأنه الحي الذي لا يموت .

وكل هذه الأمور يقر بها النصارى ويعترفون : بأن الله هو الرزاق الذي لا يأكل ولا يشرب ولا يموت ، فلماذا يقولون ويدعون له الولد؟

والغريب أنهم لا يجدون جوابا على هذا السؤال .

وقد حصلت معي قصة صغيرة :

بينما كنت أركب السيارة متوجها إلى مدينة رام الله ، رأيت مسنا يقف على الشارع .

فقلت له : أين تريد؟

قال : رام الله .

قلت : اصعد .

فلما عرفني بنفسه علمت أنه نصراني ، فدار بيني وبينه نقاش خفيف ، والرجل من المثقفين .

فكان من بين مما قال : عسى أن يدخلنا عيسى يوم

القيامة الجنة ، ويخفف عنا العذاب .

فقلت له : وهل يملك ذلك؟

قال : نعم .

قلت : وكيف؟

قال : لأنه ابن الله .

قلت : ولماذا اتخذ الله ولدا ، فهل يحتاج إلى ولد؟

قال : نعم .

قلت : هل يحتاج إلى ولد واحد أم أكثر؟

فلم يستطع الإجابة .

فقلت : لماذا اختار عيسى ولم يختر غيره ، لماذا لم يخترنا؟

فما كان منه إلا أن قال : كلنا أولاد الله .

مع أن النصارى لا يقرون هذه العقيدة .

وفي نهاية المطاف نزل من السيارة بسرعة عند وصولنا .

فسبحان الله: لماذا يقف الواحد منهم مدافعا عن الباطل؟

فأسئلة الباطل ليس لها إجابات، بل يقع الواحد منهم في إحراج شديد، وما الداعي لذلك فليسلكوا الحق الذي لا ريب فيه.

قال تعالى: «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (يونس: ٦٨).

٧- ومن الأمور العقلية المهمة التي لا بد للنصارى أن يفكروا فيها، وهي أسئلة حقيقة تثير في العقل تساؤلا:

لماذا لم يسجل التاريخ أن أحدا من علماء المسلمين دخل في دين النصارى، بينما دخل الآلاف من الرهبان ولا زالوا بحمد الله يدخلون في الإسلام، وبعضهم له مؤلفات مشهورة، وبعضهم صار من كبار الدعاة على الفضائيات يدعو للإسلام كالشيخ يوسف استس وغيره.

ولا حجة في أغبياء المسلمين الذين لا دين لهم ، وقد اعتنق بعضهم النصرانية لأجل مال زهيد ، أو لأجل امرأة ينكحها ، لا حجة في هؤلاء الذين تتجاذبهم الشياطين ، فالعبرة في أصحاب العقول النيرة من العلماء .

وقد حدثنا رجل نثق في دينه وعلمه ، أنه كان يمشي بجانب كنيسة في بلادنا ، فرأى الراهب يجلس وحده فوق سطح الكنيسة .

قال الرجل : تحدثنا ساعة كاملة عن الإسلام وهو يبكي .

قال : فقلت له : ما دمت تعرف أن الإسلام هو الحق فما الذي يمنعك من الدخول فيه؟

قال الراهب : منصبي هذا . أ هـ

فماذا بعد الحق إلا الضلال ، وأي منصب يحول بيني وبين رضوان الله تعالى ، وكيف أستبدل جنة عرضها السموات والأرض بدنيا دنيئة سرعان ما تزول .

٨- وهذا سؤال آخر لا بد من التفكير فيه :

المسلمون عندهم في اليوم خمس صلوات ، والمساجد تمتلئ بالمصلين وتزدحم بهم بفضل الله تعالى .

والنصارى ليس عندهم إلا صلاة الأحد غالبا ، وأكثرهم لا يأتون إليها .

فهلا تساءل هؤلاء عن السبب في ذلك .

ليس هناك إلا إجابة واحدة : إنه الانسجام مع الحق .

وقد زرت أحد النصارى في بيته مرة ، وكانت الزيارة في رمضان بعد صلاة التراويح .

وقد جلسنا معه في ساحة البيت الخارجية ، وأنا أستمع للتلفاز في داخل البيت وهم يستمعون لصلاة التراويح في مكة المكرمة من رحاب المسجد الحرام ، فلما انتهت الصلاة ، تحولوا إلى قناة : اقرأ الإسلامية .

وأنا أقول : من من المسلمين يستمتع وهو يشاهد صلاة النصارى في الكنيسة ، ومن من المسلمين يشاهد البرامج التي تخص الديانة النصرانية؟

الجواب : لا أعرف أحد يفعلها .

هذا جزء قليل من الأدلة .

ويا ليت من أراد يقنع النصارى ببطلان عقيدتهم أن يناقشهم بهذه الأدلة العقلية ، لأنهم لا يؤمنون بالأدلة الشرعية التي وردت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

لذا لا بد لنا أن نذكر :

كيف ندعو النصارى للإسلام؟

١- من خلال الأدلة العقلية السابقة .

٢- من خلال المقاتل في دينهم ، وقد مر شيء منها ، وسنبين بعض الكتب التي تتصدى لذلك .

٣- بيان حقيقة الإسلام، وأنه دين الرسل جميعاً، فالرسل يصدق بعضهم بعضاً، ودين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما قبله مما جاء به موسى وعيسى وإخوانهم الأنبياء من قبل .

وإن اختلفت بعض الشرائع لكن أصل الدين واحد،

وهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادته وحده، وتنزيهه عن كل نقص وعيب.

ولهذا جعل الله عز وجل المكذب لرسول واحد من هؤلاء الرسل مكذباً للجميع، وهذا كثير في القرآن، فقد قال الله: «كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ» (الشعراء: ١٢٣). وقال عز وجل: «كَذَّبَ أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ» (الشعراء: ١٧٦).

مع أن عاداً لم يرسل الله إليها إلا رسولا واحدا، وكذا ثمود وأصحاب الأيكة، ولكن من كذب واحداً، فقد كذب وكفر بجميعهم. فهذه الحقيقة لابد من بيانها للنصارى: أن عيسى عليه السلام جاء مبشراً برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، والأناجيل الموجودة اليوم على ما فيها من تحريف لا تزال تشهد بهذا. فلابد أن يبين للنصارى: أن كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم كفر بعيسى عليه الصلاة والسلام.

٤- موافقة الإسلام للفطرة، والفطرة تعني ذاك

الإحساس الغريزي الذي يجعل الإنسان يحس بحاجته للشيء .

فلا يغذي الروح ، ولا يملأ القلب والعقل إلا الإسلام ، بدليل : أن الدول الإسلامية على فقرها وتخلفها اليوم ، وهم يعدونها من دول العالم الثالث(العالم النامي) ، فرغم كل هذا إلا أنها من أقل دول العالم تسجيلا لحالات الانتحار .

بينما دولهم المتقدمة ماديا من أعلى دول العالم تسجيلا لحالات الانتحار ، لأن الفطرة عندهم انتكست بهذه العقائد الباطلة المنحرفة المزيفة .

وكذلك دول العالم الإسلامي من اقل دول العالم تسجيلا للجريمة ، وإلا فإن الجريمة تحصل عندهم لدواعي تافهة ، فمثلا أمريكا التي تعد نفسها اليوم سيدة العالم ، والكل يتهافت للسفر إليها ، والعمل فيها ، ففي كل دقيقة فيها تسجل جرائم، من قتل ، وسرقة ، واعتداء على الأعراض ، وغيرها .

٥- موافقة الإسلام للعقل الصحيح ، فالنظر الصحيح

في الكون يقضي بأن يكون لهذا الكون إله واحد ، كما قال الله عز وجل : «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» (الأنبياء : ٢٢) .

ولو كان أحد غير الله يتدخل في هذا الكون لأصابه الفساد .

ولو كان لله ابن فلا بد له أن يتدخل في هذا الكون ليدافع عن ملكه ، وملك أبيه ، ولا بد وأن يقدم اقتراحات لعلها تغير من نظام الكون .

٦- دلائل صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أعظم ذلك القرآن المحفوظ من التبديل والتحريف على تعاقب الأزمان، وما يثبته العلم الحديث كل يوم من صدق حقائق القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

وكيف تم حفظ هذا القرآن ، مع المكائد التي كادها له الكفار عبر التاريخ ، إلا لأن الله يحفظه : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (الحجر : ٩) .

وهو قرآن واحد من يوم نزوله ، إلى يومنا وإلى يوم القيامة ، بينما عدد الأناجيل التي يعترف بها النصارى اليوم أربعة ، فضلا عن مئات الأناجيل التي لا يعترفون بها .

ولو سألتهم كما أسلفنا : أي الأناجيل الأربعة نزل من السماء؟

لما وجدوا إجابة .

وهم متفقون على أن هذه الأناجيل لم تكتب في عهد عيسى عليه الصلاة والسلام ، بل كتبت بعده بعشرات السنين .

عدا عن كون هذه الأناجيل أكثرها حكايات ما حصل مع عيسى ، وكيف كان عيسى يعظ الناس .

وإذا قرأت وتصفحت شيئا من الإنجيل عرفت أنه كلام بشر ، بينما القرآن كلام الله مباشرة ، يعرف ذلك أهل اللغة الذين يتذوقون النصوص .

٧- بيان محاسن الشريعة الإسلامية ، فهذه الشريعة

التي حكمت الدنيا لأكثر من ثلاثة عشر قرنا ، فلم يجدوا أي تناقض بين نصوصها ، ولا تصادم بين أحكامها وتشريعاتها ، وما انهارت دولتها إلا لأن أصحابها لم يدافعوا عنها ، فبقيت الشريعة شامخة، وانتكس أصحابها ، وستعود الشريعة لتحكم العباد كما أخبر بذلك الصادق المصدوق .

٨- وأخيرا ما اشتملت عليه الأناجيل الأربعة من التناقض في أهم عقائدهم ، فالأناجيل مختلفة في قصة صلب المسيح ، وبعضها ينسب القبائح للأنبياء وبعضها لا ينسب، وقضية التثليث معروضة بشكل معقد بحيث أن رهبانهم لا يستطيعوا الإجابة على العديد من أسئلتها ، فهل الله هو الأب ، أم هو الروح المقدسة؟

ومن الذي يدير الكون بشكل مباشر ، هل هو الثالوث، أم هو الله وحده؟

وماذا حصل في الكون عندما صلب ومات أحد أركان الثالوث؟

ومن الذي يحدد مثل هذه الأمور ، فليس عندهم شيء يعتمدون عليه ، إلا قول المجامع النصرانية .

وبعض الأناجيل تبشر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعضها ينفي ، ورغم ما وقع فيها من تحريف ، إلا أنه لا زال فيها إشارات تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

كتب ينصح بقراءتها

إن هناك كتبا عديدة في بيان بطلان عقيدة أهل الكتاب ، وبيان ما فيها من التحريف والتزييف ، ننصح بقراءتها للباحثين عن الحقيقة من النصارى وغيرهم ، وينصح بقراءتها كذلك من يدافعون عن الحق والحقيقة ، ومن يريدون الهداية للآخرين ، والسعادة لهم في الدنيا والآخرة .

وذلك ليتمكنوا من إقناعهم بالدين الحق ، بأدلة عقلية تقبلها عقولهم ، لا بأدلة شرعية لا يؤمنون بها أصلا .

ومن أهم هذه الكتب :

١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٢- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم.

٣- إظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي.

٤- اليهودية والنصرانية للدكتور: أحمد شلبي.

٥- محاضرات في النصرانية للشيخ: محمد أبو زهرة.

٦- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: لمحمد طاهر التنير.

٧- كتب ومحاضرات أحمد ديدات، كما ويمكنك مشاهدة الشيخ أحمد ديدات على اليوتيوب وهو يجيب بأروع الإجابات ويرد على النصارى.

٨- كتاب: شهادة الإنجيل على أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكتاب: الرد على أسئلة توني بولدر وجوفاك

وتشكيكاته حول القرآن الكريم، والنبي العظيم.

وكلاهما للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ويمكن تحميلهما عن الانترنت.

وهناك بعض المواقع الالكترونية القيمة التي تعنى بهذا الموضوع، منها:

١- المسيحية بمنظور إسلامي.

٢- هداية الحيارى من النصارى.

٣- للنصارى فقط.

وهناك العديد من المقاطع على اليوتيوب في الردود على النصرانية.

وهذا مثال واحد أنصح بمشاهدته على اليوتيوب: وهو لمبشر يجيب على أسئلة مسلم، ولك أن تضحك على المبشر النصراني وهو يعجز عن الإجابة على أسئلة المسلم المثقف الواعي في دينه.

والمقطع بعنوان: مسلم يتصل بمسيحي على الهواء انظروا ماذا حدث.

مشاركة النصارى في أعيادهم

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة :

لا يجوز للمسلم ولا للمسلمة مشاركة النصارى ، أو اليهود ، أو غيرهم من الكفرة في أعيادهم ، بل يجب ترك ذلك .

لأن من تشبه بقوم فهو منهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم حذرنا من مشابهتهم والتخلق بأخلاقهم .

فعلى المؤمن وعلى المؤمنة الحذر من ذلك ، وأن لا يساعد في إقامة هذه الأعياد بأي شيء ، لأنها أعياد مخالفة لشرع الله ، ويقيمها أعداء الله .

فلا يجوز الاشتراك فيها ، ولا التعاون مع أهلها ، ولا مساعدتهم بأي شيء : لا بالشاي ، ولا بالقهوة ، ولا بأي شيء من الأمور ، كالأواني ونحوها ، وأيضا يقول الله سبحانه : « وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» (المائدة : ٢) .

فالمشاركة مع الكفرة في أعيادهم نوع من التعاون على الإثم والعدوان ، فالواجب على كل مسلم وكل مسلمة ترك ذلك ، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بذلك .

الواجب أن ينظر في الشرع الإسلامي ، وما جاء به ، وأن يمتثل

أمر الله ورسوله ، وأن لا ينظر إلى أمور الناس ، فإن أكثرهم لا يبالي بما شرع الله ، كما قال الله عز وجل في كتابه العظيم : «وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ» (الأنعام: ١١٦) .

وقال سبحانه : « وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ» (يوسف: ١٠٣) .

فالعادات المخالفة للشرع لا يجوز الأخذ بها ، وإن فعلها الناس ، والمؤمن يزن أقواله وأفعاله ، ويزن أقوال وأفعال الناس بالكتاب والسنة ، كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، فما وافقهما أو أحدهما فهو المقبول ، وإن تركه الناس ، وما خالفهما أو أحدهما ، فهو المردود ولو فعله الناس .

رزق الله الجميع التوفيق والهداية .

عن موقع اللجنة الدائمة : www . alifta . net

وبما أن الاحتفال بأعيادهم محرم فإنه لا يجوز أيضا الأكل من الطعام والحلويات التي تعد خصوصا لهذه المناسبات لأنه جزء من المشاركة .

والذي ينبغي على المسلم أن يكون واضحا في دينه ، وأن لا يكون متلونا ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

وعليه أن يكون كما قال الله سبحانه : « يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ

بِقُوَّةٍ» (مريم: ١٢).

ومطلوب من المسلم أن يظهر شعائر دينه ، ولكن بلطف دون عنف ، حتى يكون خير داعية.

تعزية النصارى

يقول د. عبد الوهاب بن ناصر الطريري ، عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً:

يجوز تعزيتهم عند الوفاة، وعيادتهم عند المرض، ومواساتهم عند المصيبة.

فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده ، فقعد عند رأسه.

فقال له: أسلم.

فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

أخرجه البخاري: ١٣٥٦.

وعنه رضي الله عنه : «أن يهودياً دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى خبز شعير، وإهالة سنخة فأجابه»

أخرجه أحمد: ١٣٢٠١ ، بسند صحيح .

وينبّه على أن المسلم إذا فعل ذلك فعليه أن ينوي بذلك دعوتهم، وتأليف قلوبهم على الإسلام، ويدعوهم بالطريقة المناسبة في الوقت المناسب.

كما ينبّه أيضاً على أنه في حالة التعزية لا يدعى لميّتهم بالمغفرة وبالرحمة ، أو الجنة، لقوله تعالى : مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى» (التوبة: ١١٣).

وإنما يدعى لهم بما يناسب حالهم بحثهم على الصبر، ومواساتهم، وتذكيرهم بأن هذه سنّة الله في خلقه .

والله أعلم .

فتاوى واستشارات الإسلام اليوم ١٥/ ٥٠ ، عن الشاملة.

الزواج من النصرانية

يجوز للمسلم الزواج من النصرانية ، وكذا اليهودية بنص القرآن ، قال تعالى: «الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُم» (المائدة : ٥) .

ويشترط في الزواج من النصرانية أن تكون محصنة كما هو صريح الآية .

وأظن أن هذا لا إشكال فيه بالنسبة للنصارى الذين يقيمون في البلاد الإسلامية ، وخصوصا العربية لأن النصرانيات في هذه البلاد عفيفات ، فالعادات والتقاليد التي يعتادها العرب قد شملتهم من الحفاظ على الأعراض ، وعدم الاعتداء عليها .

ولكن تكمن المشكلة في المسلمين الذين يتزوجون من دول الغرب ، حيث لا حفاظ عندهم ولا حصانة ، ويندر أن تجد فيها عفيفة .

ومعلوم من الدين بالضرورة أنه لا يجوز للنصراني أن يتزوج من مسلمة ، لقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ» (الممتحنة : ١٠) .

ولقوله تعالى : «وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى

النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (البقرة: ٢٢١).

وقد يحتج بعض النصارى فيقول: أليس من التعصب أنكم تسمحون لأنفسكم الزواج من بناتنا، ولا تسمحون لنا الزواج من بناتكم؟

والإجابة على ذلك واضحة: أننا نؤمن بنبيكم وكتابكم، فمتى آمنتم بنبينا وكتابنا زوجناكم بناتنا.

ولا ينصح العلماء بالزواج من النصرانية رغم أن القرآن أباحه، لأن فيه من المحاذير ما فيه.

ومن هذه المحاذير:

١- أنه لا يجوز إجراء الزواج بالمراسم الخاصة للنصارى في الكنيسة، لأنه يحتوي على أمور تخالف عقيدتنا الإسلامية.

٢- أنه لا يجوز للمرأة النصرانية أن تؤدي طقوسها الدينية في بيت زوجها المسلم، لأنه لا يجوز للإنسان أن يقر الباطل في بيته.

٣- كما لا يجوز له أن يعينها على أداء طقوسها الدينية

، كأن يوصلها بسيارته للكنيسة ، لأنه من التعاون على الإثم والعدوان .

٤- لا يجوز أن يسمح لها بوضع الصليب في البيت .

٥- وكذلك شرب الخمر في البيت .

٦- لا يجوز له السماح لها بالتبرج ، لأنه بذلك يساعد على فساد المجتمع .

٧- واخطر ما يكون أن يكون تأثير المرأة على الأولاد بالغا ، فماذا عسا الزوج أن يفعل إن قامت المرأة بتعليم الأولاد للباطل ، أثناء غيابه في أداء عمله الذي يضطره أحيانا لأن يعود على بيته في ساعة متأخرة .

ومما يعقد مهمة الأب في البيت ، تلك القوانين المعمول بها في دولنا الإسلامية ، والتي لا تعرف معروفا ، ولا تنكر منكرا ، وتقف في معظمها في جانب الباطل وتدعمه .

لذا فإنه من شعر في هذه المرأة التي يريد أن يتزوجها قربها للإسلام ، فلا بأس بالزواج منها لعله أن يكون له في هدايتها

أجر .

وأما إن كان غير ذلك فلا ينصح للخطورة البالغة التي أشرنا إليها آنفا .

ولعل الكثير من المسلمين الذين يتزوجون الكتابيات هم بحاجة إلى من يهديهم للإسلام كما نراهم .

ليت قلوبهم كقلب هذا الرجل.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ : « ضِمَاداً « قَدِمَ مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ « أَزْدِ شَنُوءَةَ» ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ .

فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّداً مَجْنُونٌ .

فَقَالَ : لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ .

قَالَ : فَلَقِيَهُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِى مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ ، فَهَلْ لَكَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِىَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَمَّا بَعْدُ : »

قَالَ : فَقَالَ : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاَءِ؟

فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلاَثَ مَرَّاتٍ .

قَالَ : فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاَءِ ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ .

قَالَ : فَقَالَ هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الإِسْلاَمِ ، قَالَ : فَبَايَعَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «وَعَلَى قَوْمِكَ» .

قَالَ : وَعَلَى قَوْمِي .

قَالَ : فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلاَءِ شَيْئًا؟

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً .

فَقَالَ : رُدُّوهَا فَإِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمُ ضِمَادٍ» .

رواه مسلم: ٨٦٨ .

الخاتمة

وفي الختام لا يسعني إلا أن أقول: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ثم الحمد لله الذي هدانا للإسلام، لدين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الدين الحق، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

فهذه نعمة لا يعرف قدرها الكثير من المسلمين، ولا شك أن فوائدها تجنى في الدنيا قبل الآخرة، من سعادة القلب، وراحة الضمير، واستقرار العقل، فلا حيرة ولا شك.

لأن الكفر تائه في الضلال، غارق في بحر الحيرة، عدا عن الخواء الروحي الذي يعيشه أكثر هؤلاء.

وإني أقسم بالله لو ملك الواحد منهم الدنيا وما فيها، وليس عنده الدين الحق، الذي يملأ العقل والقلب، فإنه لا يزال في ضنق من حياته حتى يستقيم على طريق الله.

قال تعالى: « وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» (طه: ١٢٤).

فكيف بأهل الإسلام الذين عاشوا سعادة هذا الدين في حياتهم،

ولذة الدعوة إليه ، يوم يلقون ربهم ، ويستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم على حوضه ، ويسقيهم شربة منه ، وبيده الشريفة ، لا يظمئون بعدها أبدا .

ويتبين لكل من قرأ هذا الكتاب بوضوح وجلاء: القول الصحيح في قصة المسيح عليه الصلاة والسلام .

وأن ما قاله الله ورسوله في شأن هذه القصة هو الحق ، وسواه باطل مكذوب ، لا يصدق شرعا ولا عقلا .

وفي الختام فإني خلصت إلى النتائج الآتية ، والتي يعرفها كل مسلم :

١- مريم ابنة عمران من عائلة تقية ، وهي طاهرة من كل عيب ، بل هي سيدة نساء العالمين .

٢- أكرم الله مريم بعدة كرامات كان أعلاها : ولادتها لنبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام .

٣- عيسى عبد الله ورسوله ، ليس إلها ، ولا ابنا لله ، ليس له أب ، وإنما جاء بكلمة الله .

٤- عيسى عليه الصلاة والسلام كلم الناس في المهد ، وكان له العديد من المعجزات التي تدل على

نبوته .

٥- عيسى عليه الصلاة والسلام لم يقتل ولم يصلب ، وسينزل في آخر الزمان ليحق الحق ويبطل الباطل ، ويحكم الناس بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

٦- يتبين لكل منصف أن عيسى ما دعا إلا إلى توحيد الله شأنه في ذلك شأن باقي الأنبياء، وأن الذي حرف النصرانية وأخرجها من التوحيد إلى التثليث هو بولس .

٧- كفر اليهود والنصارى معلوم من الدين بالضرورة، ومن شك في ذلك فقد كفر .

وهذه بعض التوصيات :

١- ضرورة قراءة أمثال هذه الكتب حتى يستقر العقل أولا على الحق .

٢- لا بد لكل مسلم أن يكون على بصيرة من دينه ،

حتى إذا ما ناقشه واحد من غير المسلمين عرف كيف يرد عليهم.

٣- الدعوة إلى الله بكل جرأة ، وخصوصا من المسلمين الذين يقيمون خارج البلاد الإسلامية ، حيث حرية الاعتقاد لدى تلك الشعوب المتعطشة لمعرفة الحق.

٤- أن تكون الدعوة إلى الله برفق ولين كما كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يتعامل مع الناس في دعوتهم للإسلام.

٥- وهذه وصية أخيرة لمن قرأ هذا الكتاب أو استفاد منه : دعوة صادقة بظهر الغيب ينفعني الله بها ، فإني فقير على عفو ربي ورحمته.

مسرد الموضوعات

يمكنك قراءة كتب ومقالات للمؤلف على المواقع الآتية:

١- صيد الفوائد

٢- الموسوعة الشاملة

٣- المختار الاسلامي

٤- مكتبة مشكاة للكتب الاسلامية

كما ويمكنك مشاهدة بعض الدروس والمواعظ على اليوتيوب

الشيخ غانم غانم على اليوتيوب